

مَقَامَاتُ
فَاطِمَةَ الرَّهَاءِ
فِي الْكِنَابِ وَالسُّنَنِ

مَقَامَاتُ

فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ

فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ

تَقْرِيرَ الْأَنْجَارِ

الْمُحَقِّقُ آيَةُ اللَّهِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ السَّنْدُ

بِفَتْاهِ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ دِيكَرِ الْجَلْفِي



مقامات الزهراء عليها السلام

الشيخ محمد السند البحراني

كافة حقوق الطبع محفوظة للمؤلف وشعبة البحوث والدراسات

الناشر: شعبة البحوث
والدراسات
العتبة الحسينية المقدسة

الكمية: ١٠٠٠
المطبعة: دار الوارث
سنة الطبع: ٢٠١٧-١٤٣٩
القطع: وزيري
عدد الصفحات: ٢٣٢
الاخراج الفني: علي جبار

عنوان الناشر: العراق - كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

باب الرجاء - الرقم الداخلي ٢٢٩ - تلفون: ٠٧٧١٩٩٩٧٥٥٢

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى فاطمة ابنة أبيها
وَعَلَى مَنْهَا لَهَا

بسم الله الرحمن الرحيم

تمام حمد النسماآ وآسبب ذوب الآفناآ لله رب الآخرة والذنا، وسنام الصلواآ على آآة الله الكبرى وآبته العظمى، سبنا محمد المصطفى، ودوام البركاآ على وصبه المرتضى- وعآرته أمة الهدى وآآ الله على الورى، لا سبما بضعته الكرىمة، السببة الصببقة، فاطمة الزببة - على ظالمبها لعن آالق البرببة ..

وبعد ...

فإن إسآفاء مقامآ صبببقة الإسلام من صمبم عشاآ آباآ كتاب الملك العلام، هو من أروع آاضراآ شبآنا الأستاذ العلامة - آفظه الله تعالى ورعاه فى آصنه الآصبن فى بلدة أمبر المؤمنن ﷺ - وقد قام بآآربرها وضبط مقالآها العلم الزكبى، ذرببة كوآر النبى، السبب محمد على (آلؤ) - وفقه الله العلبى فى آآمة النبى والوصبى - وقد طبع مرآآ واستفاد منه الآآققون الكراآ.

وآبآ أن شبآنا الأستاذ كان رأبه على إراآة آاضراآه بشكل واحد وأسلوب فنبى فارد وآقوبم النص من آببب كنباء مارء، فباآرآ - بإشارة من الأستاذ - بعء كتاب (ملكبة الدول الوضعببة) بآقوبم نصّ هذا الكتاب على أروع أسلوب وأآمل طربقة وهذا المنشور بآآلف عن سابقه فى أكثر من آلاآمأة موضع، مضافاً إلى اسآآراآ كافة المصادر ورعاية علاآم الآرببم والآقوبم. وما آوفببى إلا بالله، علىه آوكآت وإلبه أنبب.

رببب الأول ١٤٣١

مصطفى الإسآنآربى

كلمة الأستاذ

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد لله فاتقِ الكلمات، جاعل الآيات، مصطفى المطهّرين حججاً؛ والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، نذيراً وبشيراً، الموعود بإظهار دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون؛ وعلى أهل بيته وعترته وذوي قرابته لاسيما البضعة المطهّرة، المباهل بها حجّةٌ للدين على الأمم والملل، من عباد الله الذين يُطعمون الطعام على حبه ويخافون يوماً ويفجّرون عين الكافور والتسنيم ويفيضون منها على الأبرار، الشاهدين للكتاب في عليين، المقربون السابقون، الذين يمسون الكتاب المكنون المبين المسطور فيه كلّ غائبة في السموات والأرض ولا رطب ولا يابس إلا فيه.

وبعد، فإنّ بين يدي القارئ مجموعةً مقتطعةً من بحث الفصل الرابع في الإمامة الذي

ألقيناه على عدّة من الأخوة الأفاضل في العام المنصرم، وقد حرّرها ونمّتها السيّد الفاضل المبرّز، السيّد محمّد علي الحلو - أدام الله تعالى دراسته العقائدية - وقد أجاد ترتيب حلقات البحث في هذه المجموعة التي اختصّت بمقامات الصديقة في الكتاب والسنة، وأرجو منه تعالى له المزيد من التوفيق والتحقيق والخدمة للدين الحنيف.

لخمس ليال بقين من شوال

ذكرى شهادة الإمام الصادق عليه السلام ١٤٢١ هـ. ق

محمّد سند

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

في ظلّ ظروف تعجُّ بالتساؤلات النابعة من شبهات عقائدية - هي في حقيقتها قديمة بالية، يروّجها أعداء الإسلام ويمجّدها أتباعهم - يتصدّى علماءنا الأعلام للإجابة عن هذه التساؤلات ورفع تلك الشبهات بما لا يبقى مندوحة لأحد تخفى عليه حقائق الدين وأصول المذهب.

إلا أنّ أستاذنا المحقّق العلامة الشيخ محمّد السند - حفظه الله تعالى - قد تجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى يبادر فيها بطرح الأسئلة والإجابة عنها متخطياً بذلك تقليدية السؤال والإجابة عليه متى ما حصل ذلك من أحد؛ إذ تصدّى إلى أن يطرح تساؤلاته على شكل بحوث قيّمة ترفع الشبهة، وتعين الباحث للمطالبة في الإستزادة من بحوث بكرٍ لم يتطرّقها أحد قبله.

والكتاب الذي بين يديك - أيها القارئ الكريم - هو إحدى هذه المحاولات، إذ هو في الحقيقة إجابة لسؤال، وإن كان لم يطرح مباشرة إلا أنّ الواقع العلمي لحوزتنا المباركة - حرسها الله تعالى - يجده ملحقاً في ظلّ هذه الظروف العصيبة من الشبهات.

والسؤال المطروح: ما هو مقام فاطمة عليها السلام وما هي حجّيتها وولايتها كذلك؟
وللإجابة عن ذلك عقّد الأستاذ المحقّق - حفظه الله - بحوثاً جاءت على شكل بيان لمقامات

فاطمية نابعةً من القرآن ومفسّرةً بالسنة، معتمدةً في ظهوراتها على نباهة القارئ الفطن في تفتيق الحقائق من أكامها القرآنية ومستعيناً بتفسيرات السنة النبويّة وأئمة الهدى صلوات الله عليهم. فالدراسة لا تتعدّى عن محاولة قراءة الآيات القرآنية بواسطة السنة الشريفة وصياغة كلّ مقام صياغةً فقهية قانونية، ومحاولة معرفة البُعد الفقهي القانوني لكلّ آية وحديث متّفق لدى الفريقين، فتكون الدراسة حالة استجلاء لنصوص الفريقين وابرار كوامن ما ارتكز لديهم من مقامات الصديقة فاطمة عليها السلام.

فالقارئ سيجد في الدراسة إعادة تنضيد الأدلّة من مظانّها بما يضمن مرتكزات الفريقين، والتي لم تُتداول بهذا العمق والترتيب القانوني، إما لتسليمهم بها واعتبارها من مسلمات وضرورات الدين، وإما أنّ ظروفًا ما لم تأذن بتداول مثل هذه الحقائق وبهذا الوضوح.

ولذا سيجد القارئ في مطاوي البحث كلمات أعلام الفريقين تُشير بشكل خفي إلى جميع هذه المقامات وتداولها كأنها من مسلماتهم، وهذا ما امتازت به هذه البحوث وتمكّنت من تقديم مقامات الصديقة فاطمة عليها السلام بطريقة تكفل الإجابة عن السؤال:

ما هي مقامات فاطمة عليها السلام وما هي حجّيتها وولايتها الإلهية صلوات الله عليها وعلى آله المعصومين.

لذا فقد دفعني الحرص على تقرير هذه الأبحاث الجليّة ليتسنى لها أن تأخذ مكانها في مواقع الدفاع عن العقائد الحقّة والإجابة عن كثير من التساؤلات التي ستثير حفيظة القارئ عند قرائته عنوان البحث لأول وهلة، وسيجد ما أمكن حفظه في مرتكزاته العقائدية وبتقنين فقهي - قرآني لا يحيص للباحث من متابعته والإستعانة به للإنتتاح على آفاق عقائدية - معرفية يفتح

من خلالها نافذة جديدة على بعض خصائص الصديقة الزهراء (عليها السلام)، وشخصيتها الإلهية العظيمة.

السيد محمد علي

المقام الأول

القرآن

ومقامات فاطمة

عليها السلام

إذا كُنَّا في مقام البحث عن مقامات فاطمة عليها السلام، فإنَّ القرآن قد تكفَّل ذكر بعض فضائلها، فأمكن تتبُّع ما نزل من القرآن في شأنها ^(١) عليها السلام، فاجتمعت أكثر من ستين آية تشهد لها بالفضل والفضيلة والمقام المنيع في الدين والأصل الأصيل في الاعتقاد الواجب على كلِّ مكلف التدين به وأنَّ لها حقوقاً جمَّة يلزم التسليم بها، مضافاً إلى ما اشتركت مع آل البيت عليهم السلام من آيات صريحة، فيكفيها ما ذكره القرآن من شهادة، فهل بعد شهادة الله شهادة؟ وهل بعد تزكيته تزكية؟ فطوبى لها من ذكر خالد، وحسن مآب، ورفيع مقام إلهي.

١. كتاب صدر بعنوان: «ما نزل من القرآن في شأن فاطمة الزهراء عليها السلام» أحصي فيه أكثر من ستين آية أعدّها المؤلف من مختصات فاطمة عدا ما ذكرت من آيات مشتركة مع أهل البيت عليهم السلام. والكتاب من منشورات دار الكتاب الإسلامي، قم المقدسة.

المقام الثاني

فاطمة وحديتها

على الأئمة والأنبياء

عليهم السلام

وفيه جهتان من البحث:

الجهة الأولى: حجبتها على الأئمة عليهم السلام

لما كانت علّة الخلق هي عبادة الله تعالى لقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) ولا تتمّ العبادة إلا بمعرفته تعالى، ومعرفته لا تتمّ إلا برسله وأوليائه، إذ هم حججه على العباد في كلّ زمان، فهم الطريق إليه والمسلك إلى سبيله.

عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام ... قال:

«إنّما أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، يُعبّرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم.

فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوّته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة.

ثم ثبت ذلك في كلِّ دهر وزمان ممَّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علمٌ يدلُّ على صدق مقالته وجواز عدالته»^(١).
فالحجة إذن هو الدليل الى الله تعالى يُحذّر به عباده وينذرهم ويهديهم. فمقام الحجّة إلهيّ تصل بوساطته العلوم الإلهية اللدنيّة إلى عباده.

وإذا كان أهل البيت عليهم السلام حجج الله على خلقه فإنَّ أمهم فاطمة حجة الله عليهم، وهي ما صرّحت به رواية العسكري عليه السلام: «نحن حجة الله على الخلق، وفاطمة عليها السلام حجة علينا»^(٢).
ويشهد لهذا المعنى ما ورد عن مصادر علومهم عليهم السلام كالجفر والصحيفة والجامعة، وأنَّ منها مصحف فاطمة عليها السلام مما يدلُّ على كونها واسطة علمية بين الأئمة عليهم السلام وبين الله تعالى في العلم المحفوظ في مصحفها المتعلّق بما يكون إلى يوم القيامة، فهي حجة في هذا العلم الجَمِّ على الأئمة عليهم السلام يأخذون به، نظير حجّة النبي صلى الله عليه وآله في شأن القرآن الكريم الذي هو مصدر علوم الأئمة عليهم السلام كما في الروايات الآتية.

ولا يخفى أنَّ وِساطتها عليها السلام لذلك العلم ليس عبر نقش وخط ذلك المصحف، إذ الوجود الكتبي لمصحفها وجود تنزلي تنزيلي لحقائق ذلك العلم الذي ألقى إليها، فوساطتها بلحاظ عالم الأنوار لهم عليهم السلام.

فقد روى فراتى الكوفي في تفسيره، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن عبيد معنعناً عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال:

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿﴾ الليلة فاطمة والقدر الله، فمن عرف فاطمة حقَّ معرفتها

١. الكافي ١/ ١٦٨. (كتاب الحجّة، الباب الأول: باب الإضطرار إلى الحجّة، الحديث ١).

٢. تفسير أطيّب البيان ١٣/ ٢٣٥.

فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سميت فاطمة، لأن الخلق فطموا عن معرفتها.

وقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني خير من ألف

مؤمن، وهي أم المؤمنين.

﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ والملائكة المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد ﷺ

والروح القدس هي فاطمة ﷺ.

﴿يَاذُنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ يعني حتى يخرج القائم ﷺ. (١)

فقد روى زرارة عن حمران، قال: «سألت أبا عبد الله ﷺ عما يفرق في ليلة القدر، هل

هو ما يقدر الله فيها؟ قال:

لا توصف قدرة الله، إلا أنه قال ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ فكيف يكون حكيماً إلا ما

فرق، ولا توصف قدرة الله سبحانه لأنه يحدث ما يشاء.

وأما قوله ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني فاطمة ﷺ.

وقوله ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون

علم آل محمد ﷺ.

﴿وَالرُّوحُ﴾ روح القدس، وهو في فاطمة ﷺ.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ﴾ يقول من كل أمر مسلمة.

﴿حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ يعني حتى يقوم القائم ﷺ. (٢)

١. تفسير فوات الكوفي/ ٥٨١.

٢. تأويل الآيات الظاهرة/ ٧٩١، والظاهر أنه أخرجه عن تفسير محمد بن عباس.

وكما هو الحال في وساطة النبي ﷺ لا يصلح القرآن لهم، ففي صحيحة زرارة قال:

«سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: لولا أننا نزداد لأنفدنا.

قال قلت: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله ﷺ؟

قال: أما إنه إذا كان ذلك عرض على رسول الله ﷺ ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر إلينا».

وفي رواية عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«ليس يخرج شيء من عند الله عز وجل حتى يبدأ برسول الله ﷺ ثم بأمر المؤمنين (عليهم السلام) ثم

واحداً بعد واحد لكي لا يكون آخرنا أعلم من أولنا».^(١)

فالوساطة ليست في خصوص الوجود الكتبي للقرآن، بل في إيصال الحقائق النورية

للقرآن إلى أنوار أرواحهم (عليهم السلام)، فالإلقاء والتلقي نوري بلحاظ نشأة الملكوت المطوي في

وجوداتهم وأرواحهم كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾.^(٢)

وقد بين الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) ما يتضمنه هذا المصدر العلمي الإلهي في رواية

بقوله:

«إن فاطمة مكثت بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزنٌ شديد على

أبيها، وكان جبرئيل (عليه السلام) يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها

ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي (عليه السلام) يكتب ذلك، فهذا مصحف

فاطمة (عليها السلام)».^(٣)

وفي رواية أخرى بين الإمام (عليه السلام) جانباً آخر من جوانب ما يتضمنه هذا المصدر الإلهي،

١. الكافي / ١ / ٢٥٥.

٢. الواقعة / ٧٧ - ٧٨.

٣. الكافي / ١ / ٢٤١ (كتاب الحجّة، باب في ذكر الصحيفة والجفر والجامعة...، الحديث ٥).

ففي حديث قال أبو عبد الله عليه السلام :

«ومصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى أن فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلاث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش...»^(١).
ولعل الرواية الأخرى تفيدنا جانباً آخر مما يتضمنه مصحف فاطمة عليها السلام؛ عن أبي عبد الله عليه السلام :

«وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدرهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟

قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟

قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»^(٢).
وقوله عليه السلام : «والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد» ليس المراد منه خلوّ القرآن الكريم عن ذلك العلم المودع في مصحف فاطمة عليها السلام؛ إذ القرآن تبيان كل شيء، بل المراد أنه ليس فيه من ألفاظ وآيات وكلمات القرآن شيء، إذ علمها عليها السلام بذلك بنزول جبرئيل عليها هو ما سيأتي بيانه من كونها مطهرة تُمسّ القرآن الكريم في الكتاب المكنون واللوح المحفوظ الذي يُستطرّ فيه كل غائبة ورطب ويابس وما كان وما يكون. فعلمها بذلك هو من العلم بحقيقة القرآن العلوية، لا هو شيء خارج عن حقيقة القرآن، غاية الأمر أن تلك الحقيقة موجودة بالألفاظ بين الدفتين وما علمت به عليها السلام كالشرح لبطونه وحقائقه التكوينية العلوية.

ويشهد لذلك رواية أخرى عن مصحفها عليها السلام وهي ما رواه الطبري في دلائل الإمامة من

١. بصائر الدرجات، الباب (١٤) من الجزء الثالث، باب في الأئمة عليهم السلام أعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، الحديث ١. (ص ١٥٠ من الطبعة القديمة و ص ٢٠٨ من الطبعة الحديثة).

٢. الكافي ١/ ٢٣٩ (كتاب الحجّة، الباب ٤٠: فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، الحديث ١).

معتبرة أبي بصير قال:

«سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن مصحف فاطمة فقال: أنزلَ عليها بعد

موت أبيها.

فقلت: ففيه شيء من القرآن؟

قال: ما فيه شيء من القرآن.

قلت: فصِّفه لي. قال: له دَفَّتَانِ مِنْ زَبْرٍ جَدَّتَيْنِ عَلَى طُولِ الْوَرَقِ وَعَرْضِهِ حَمْرَاوَيْنِ.

قلت: جعلت فداك، فصِّفه لي وَرَقَةً. قال: ورقه من دُرٍّ أبيض، قيل له: كُنْ فكَانَ.

قلت: جعلت فداك فما فيه؟ قال: فيه خبرٌ ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر

سواء سماء، وعدد ما في السماوات من ملائكة وغير ذلك، وعدد كلِّ ما خلق الله رسلاً

وغير مرسل، وأسماءهم، وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب، وأسماء

جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان وصفة كلِّ

بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من مؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة

كلِّ مَنْ كَذَّبَ، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدّة ملكهم

وعددهم، وأسماء الأئمة وصفتهم وما يملك واحداً واحداً، وصفة كُرّاتهم، وجميع من تردد

في الأدوار من الأولين والآخرين.

قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار فيها أسماء

جميع من خلق الله من الأولين والآخرين وآجالهم، وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها،

وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما

أنزلت، وعلم الإنجيل كما أنزل، وعلم الزبور وعدد كلِّ شجرة ومدرة في جميع البلاد.

قال أبو جعفر: ولما أراد الله تعالى أن يُنزله عليها أمر جبرئيل وميكائيل واسرافيل أن يحملوا المصحف فينزلوا بها عليها، وذلك في ليلة الجمعة، الثالث الثاني من الليل، هبطوا به عليها وهي قائمة تصليّ، فما زالوا قياماً حتى قعدت، فلما فرغت من صلاتها سلّموا عليها، وقالوا: السلام يقرئك السلام ووضعوا المصحف في حجرها.

فقلت لهم: لله السلام ومنه السلام، وإليه السلام، وعليكم يا رسل الله السلام. ثم عرجوا إلى السماء. فما زالت بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرأه حتى أتت على آخره.

ولقد كانت ﷺ طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطيور والوحش، والأنبياء والملائكة.

فقلت: جعلت فداك، فلما مضت إلى من صار ذلك المصحف؟

فقال: دفعته إلى أمير المؤمنين، فلما مضى صار إلى الحسن ﷺ ثم إلى الحسين ﷺ ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر ﷺ.

فقلت: إن هذا العلم كثير.

قال: يا أبا محمد، إن هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله، وما وصفت بعد ما في

الورقة الثالثة^(١) ولا تكلمت بحرف منه^(٢).

ويجدر التنبيه إلى أن اختلاف ألسن الروايات في كيفية مصحفها إما راجع إلى تعدد

١. في نسخة: الثانية بدلاً من الثالث.

٢. دلائل الإمامة، في باب <فاطمة الزهراء>، خير مصحفها، الرقم المسلسل للحديث ٣٤، ص ١٠٤-١٠٦.

صحفها عليها السلام أو الاختلاف في أبعاض المصحف الواحد أو وجوه أخرى لا تخفى على القارئ بعد ملاحظة مجموع الكلام في هذا المقام.

ويدل على ظاهرها ومفادها من اشتغال مصحفها على كل صغيرة وكبيرة ورطب ويابس وجميع ما خلق مما كان وما يكون وما هو كائن، وعلوم الكتب السماوية وكما سيأتي في المقامات اللاحقة من كونها مطهرة كما في سورة الأحزاب، والمطهر كما في سورة الواقعة يمس حقيقة القرآن العلوية المكنونة في الكتاب واللوح المحفوظ الموصوف بأنه تبيان لكل شيء كما في سورة النحل، وهو الكتاب المبين كما في سورة الدخان، والكتاب المبين وهو الذي يستطر فيه كل غائبة في السماوات والأرض كما في سورة النمل، وكل ما في البر والبحر وكل رطب ويابس كما في سورة الأنعام، فمضمون هذه الرواية مما دلت عليه تلك الآيات مضافاً إلى كون القرآن هو الكتاب المهيم على بقية الكتب السماوية، فهو يحيط بها، فالذي يمس حقيقته العلوية تنزل عليه مثل تلك الحقائق.

وفي رواية ثالثة، قال أبو عبد الله عليه السلام:

«.. وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة»^(١).

فلم يكن مصحف فاطمة عليها السلام مصدراً لجانب علمي معين، بل يعمّ علوماً عدّة أشار إلى الإمام عليه السلام؛ كالحوادث الواقعة إلى يوم القيامة، أي ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، فضلاً عن الأحكام التي يتضمّن مصحفها ليشمل حتى أرش الخدش.

على أنّنا لا نغفل عن قول الإمام عليه السلام من أن مصحف فاطمة فيه وصيتها عليها السلام، ووصيتها هذه تتضمن أمراً خطيراً هاماً لم يصرّح به الإمام إلا أنه يشعر من كلامه مدى خطورة

١. الكافي ١/ ٢٤١ (كتاب الحجّة، الباب ٤٠: فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، الحديث ٤).

وصيتها هذه، إذ قوله عليها السلام «وليخرجوا مصحف فاطمة» نوع تهديد وتحدي لبعض الجهات يكمن من خلاله أنّ في وصيتها عليها السلام توصيات إلهية تعين الإمام الذي إمامته من عند الله تعالى.

فالإيصاء بإمامة الأئمة عليهم السلام، ممّا يدلّ على أنّ العهد بإمامة الأئمة عليهم السلام من ذريتها هو من شؤونها عليها السلام؛ إذ متعلّق الوصية لا بدّ أن يكون ممّا يشملها ولاية الموصي، ومن ثم كان الإمام السابق يوصي بإمامة اللاحق، وكوصية النبي صلى الله عليه وآله بإمامة علي عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام.

ويصرّح بهذا المقام لها عليها السلام النص الوارد في نزول اللوح الأخضر- عليها المتضمن لتعيين أسماء الأئمة عليهم السلام، ومن ثمّ يصح أنّ الأئمة من ذريتها أوصياء لها كما هو الحال في كون الإمام اللاحق وصي الإمام السابق.

وكما ورد في زيارة الحسين عليه السلام وزيارة الرضا عليه السلام: «السلام عليك يا وارث فاطمة...» الدالّ على وراثة إلهية بينها وبين الأئمة.

وعلى الإجمال: فإنّ مقام الوصاية بالإمامة مقام خطير إلهي نظير ما كان لمريم بنت عمران من مقام حيث أُلقي إليها كلمة الله عيسى، وكان لها مسؤولية البشارة بنبوة عيسى للناس، ممّا يعني أنّ لمصحف فاطمة عليها السلام شأنًا في تحديد منصب الإمامة الإلهية.

ويدلّ في الوقت نفسه ما لفاطمة عليها السلام من صلاحية خاصة في تحديد معالم القيادة الإسلامية المتمثلة زعامتها الحقّة في إمامة المعصومين عليهم السلام ويؤكد كذلك عظم حجيتها عليها السلام في أخطر شأن من شؤون الدين والأئمة وهو تحديد مناصب الإمامة الإلهية، علماً أنّ هذا

التحديد سيكون على مستوى الوصية الإلهية التي تلقى إلى النبي صلى الله عليه وآله ليحملها فاطمة عليها السلام.
ومن هنا سنرى مدى خطورة مسؤوليات فاطمة عليها السلام في رسم مبدأ مسار الأمة ومنتهاه إلى يوم القيامة، وسيُضح أن من هذا القبيل أمراً خطيراً ومهماً، وهو مدى أهمية موقف فاطمة عليها السلام إبان أحداث البيعة وتوجهات السقيفة، وإعلان استنكارها لما أقدمت عليه جماعة السقيفة وقتذاك، إذ يعني استنكار فاطمة عليها السلام على ما أقدم عليه القوم مخالفتهم للمسار الذي جعله الله تعالى ورسمه لهذه الأمة ما تعاقبت أجيالها بحسب ما عهد إليها عليها السلام من وصية في تعيين الإمام وهو ما تكفله مصحف فاطمة عليها السلام وستؤكد الرواية التالية ما نذهب إليه من أن هذه الوصية هي وحي إلهي ألقى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وألقاه إليها عليها السلام.

قال أبو عبدالله عليه السلام في حديث:

«... وخلقْتُ فاطمةً مصحفاً ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله أنزل عليها، إملاء

رسول الله وخطَّ عليّ عليها السلام». (١)

مضمون هذه الرواية أن بعض مصحفها هو من إملاء الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته على فاطمة عليها السلام لا من نزول جبرئيل عليها نظير الرواية المتقدمة في أصول الكافي من أن ما ينزل من العلم المتجدد من الله تعالى على الإمام الحي القائم بالأمر يتنزل أولاً على رسول الله صلى الله عليه وآله في نشأته الأخروية ثم على أمير المؤمنين عليه السلام ثم على الإمام اللاحق فاللاحق إلى أن يصل في تنزله على الإمام الحي القائم بالأمر، مما يدل على وساطة النبي صلى الله عليه وآله في علوم المعصومين عليهم السلام اللدنية منه تعالى.

١. بصائر الدرجات، الباب (١٤) من الجزء الثالث: باب في الأئمة عليهم السلام أتهم أعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، الحديث ١٤. (ص

وفي الرواية إشارة إلى أن علياً عليه السلام كان يخط ما يمليه ويلقيه له النبي صلى الله عليه وآله في تلك النشأة على فاطمة عليها السلام، وهذا نظير ما كان من شأن علي عليه السلام من أنه كان يسمع ما يسمعه النبي صلى الله عليه وآله من الوحي ويرى ما يراه النبي صلى الله عليه وآله، كما ورد ذلك في روايات عديدة وكما نقل عليه السلام ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي» في آخر الخطبة القاصعة من نهج البلاغة.

ويقتضيه مفاد حديث المنزلة: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» إذ كان ما ينزل على موسى يسمعه ويراه هارون كما هو مفاد الآيات الكريمة المشتركة بينهما فيما ينزل. فالذي ينزل هو على النبي صلى الله عليه وآله يراه ويسمعه علي عليه السلام.

ونظير ما سيأتي من نزول الملائكة على مريم بل والوحي المباشر من الله تعالى لها، مع أنها لم تكن نبياً ولكن كانت آية من حجج الله تعالى. ثم إن في التصريح بأن ما نزل عليها كلام من كلام الله تعالى القدسي غير القرآني، تبيان لمقام حجيتها الإلهية، على أن مصحف فاطمة هو أحد دلائل إمامة الإمام عند حيازته له. عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«ما مات أبو جعفر عليه السلام حتى قبض مصحف فاطمة عليها السلام»^(١).

فمصحف فاطمة أحد منابع العلمية التي يتزود منها الإمام إبان مهمته الإلهية، فضلاً عن كونه إحدى دلائل إمامته الحقّة.

١. بصائر الدرجات، الباب (١٤) من الجزء الثالث: باب في الأئمة أتهم أعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، الحديث ٢٣. (ص ١٥٨ من الطبعة القديمة وص ٢١٦ من الطبعة الحديثة).

من هنا تبين أن حجية فاطمة عليها السلام على أبنائها الحجج المعصومين عليهم السلام، فهي الوسيلة العلمية بين الله تعالى وبين الأئمة عليهم السلام ومن خلال العلم المحفوظ في مصحفها المتعلق بما يكون إلى يوم القيامة، فحجيتها نظير حجية النبي صلى الله عليه وآله في شأن القرآن المجيد الذي هو مصدر علوم الأئمة عليهم السلام كما هو المقرر.

كما تؤكد أن العلم الذي يتلقونه عليهم السلام عن مصحف فاطمة غير مقتصر على ما نقش من وجود كتبي في ذلك المصحف، بل هذا الوجود الكتبي تنزلي تنزيلي لحقائق ذلك العلم الذي ألقى عليها كما تقدم، فوساطتها إذن بلحاظ عالم الأنوار لهم عليهم السلام.

ويشهد لوساطتها لعلومهم وحجيتها روايات بدء الخلقة وخلقة أنوارهم واشتقاقها على الترتيب من نور النبي صلى الله عليه وآله ونور علي، ثم اشتقاق نور الحسين من نورهم مما يدل على كون ربتها بعد علي أمير المؤمنين عليه السلام، وأن بقية أنوار الأئمة عليهم السلام أشتقت منها فهي واسطة فيض تكوينية لوجودهم وكما لا تتم وهو مقام رفيع وسر عظيم.

ففي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله مسنداً عن سلمان قال:

«دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظر إلي قال: يا سلمان، إن الله عز وجل لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا جعل له اثني عشر نقيباً.

قال: قلت: يا رسول الله، قد عرفت هذا من الكتابين.^(١)

قال: يا سلمان، فهل علمت نقبائي الإثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟

فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: يا سلمان، خلقتني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته وخلق من نوري علياً فدعاه إلى

طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي عليه السلام فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق مني ومن علي ومن فاطمة، الحسن والحسين، فدعاها فأطاعاه.

فسمّانا الله عزّ وجلّ بخمسة أسماء من أسماؤه: فالله المحمود وأنا محمّد، والله العلي وهذا علي، والله فاطر وهذه فاطمة، والله الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين. ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماء مبنية أو أرضاً مدحية، أو هواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً، وكلنا بعلمه أنواراً نسبحه ونسمع له ونطيع^(١).

فالخلقة والإصطفاء كما جرى على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام جرى مثله على فاطمة عليها السلام، وهذا العمري مقام خضير وشان رفيع.

كما أنّ في اشتقاق نور علي من نور محمّد، ونور فاطمة من نور علي، ونور الحسن والحسين من نور فاطمة، وأنوار التسعة من ذريّة الحسين من نور الحسين، دلالة على ترتيب النورانية وكون المتقدم واسطة فيض للمتأخّر، لذا فإنّ فاطمة عليها السلام تعدّ واسطة فيض نورانية للأئمة عليهم السلام لتقدّمها عليهم بالنورانية، وهذا معنى كونها واسطة إفاضة على أولادها المعصومين عليهم السلام فهي بالتالي حجة عليهم.

ومما يؤكّد أنّهم من نور واحد ما روي عن الرضا صلوات الله عليه:

«... إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى عمران: أي واهب لك ذكراً، فوهب له مريم، ووهب

لمريم عيسى، فعيسى من مريم ومريم من عيسى، ومريم وعيسى شيء واحد، وأنا من أبي،

١. بحار الأنوار ٢٥ / ٦، الحديث ٩ (كتاب الإمامة، أبواب خلقهم وطبعتهم وأرواحهم، الباب الأول: بدو أرواحهم وأنوارهم...).

وأبي مني، وأنا وأبي شيء واحد»^(١).

فإذا كان عيسى من مريم ومريم من عيسى شيء واحد، فكيف بمن كانوا أنواراً
يسبِّحون الله قبل الخلق بألف عام؟

عنهم عليهم السلام:

«إن الله خلقنا قبل الخلق بألف عام، فسبَّحنا فسبَّحت الملائكة لتسبيحنا»^(٢).

فهم عليهم السلام من فاطمة، وفاطمة منهم.

وهذا دليل قولنا: أنها عليها السلام واسطة فيض تكوينية لوجودهم وكما لا تتم صلوات الله
وسلامه عليهم وعلى أمهم سيدة نساء العالمين.

فيتلخص بذلك وجهان لمقام حجيتها على الأئمة عليهم السلام:

الأول: كون مصحفها مصدراً من مصادر علوم الأئمة عليهم السلام ومعنى ذلك وساطتها
العلمية المنصوبة من قبله تعالى للأئمة.

الثاني: اشتقاق نورهم عليهم السلام من نورها في بدء الخلقة وهو يستلزم مقام الحجية لهيمنة
المتقدم على اللاحق.

١. بحار الأنوار ٢٥ / ١، الحديث ١ (كتاب الإمامة، أبواب خلقهم وطبعتهم وأرواحهم، الباب الأول: بدو أرواحهم وأنوارهم...).

٢. نفس المصدر، الحديث ٢.

الجهة الثانية : حجيتها على الأنبياء المرسلين

ويدلّ عليه من الكتاب وجهان:

الأول: كونها مطهرة تمسّ الحقيقة العلوية الملكوتية للقرآن الكريم في اللوح المحفوظ كما تقدّمت الإشارة إلى السور القرآنية الدالة على ذلك، وكما سيأتي في مقامات أخرى لاحقة والذي يُحيط بعلم الكتاب المهيمن على بقية الكتب السماوية السابقة يفضل على أصحاب تلك الكتب، حيث وصفت توراة موسى بأنّ فيه تبياناً من كلّ شيء لا تبياناً لكلّ شيء، فضلاً عن بقية الكتب.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ

الْعَالِينَ﴾. (٢)

فظاهر هاتين الآيتين والتي استعرضت كذلك في سور أخرى، من أن هذه الأسماء كانت موجودة حيّة شاعرة عاقلة، لأنّ الضمير واسم الإشارة المستخدم في الآيات المزبورة عائدة إلى العاقل الحيّ الشاعر، ومقتضى حصول آدم على شرف الخلافة الإلهية واسجد الملائكة كلّهم أجمعون خاضعين طائعين له كان بسبب تشريفه بالعلم بتلك الموجودات الحيّة الشاعرة، مما يفضي بشرافة مقام تلك الموجودات الحيّة الشاعرة العاقلة على مقام آدم فضلاً عن جميع الملائكة.

ومما يقضي أنّ خلفاء الله من الأنبياء وجميع المرسلين وأوصيائهم الذين يندرجون تعاقباً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣) إنّما يشرفون ويؤهلون بمقام الخلافة الإلهية في الأرض، إنّما هو بتوسط تشريفهم بالعلم بتلك الموجودات الحيّة الشاعرة العاقلة، والتي أشار إليها تعالى في سورة «ص» بالعالين لأنّه تعالى حصر ما سوى آدم في قوله ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ كونه دون آدم فيكون عدم سجود إبليس استكباراً، أو هو من العالين الذين لا يخضعون لآدم ولا لطاعته بل يفوقونه، وليس أولئك إلاّ الموجودات الحيّة الشاعرة العاقلة الذين ببركتهم شرف آدم بذلك المقام، فكيف يكونون دونه خاضعين وطائعين له؟

١. البقرة / ٣١ - ٣٤.

٢. ص / ٧٥.

٣. البقرة / ٣٠.

ومقتضى- وصف الله تعالى لعلم آدم بتلك الموجودات بأنه غيب السماوات والأرض ولأجل ذلك لم تحط الملائكة علماً بتلك الموجودات لأنها بالنسبة إلى السماوات والأرض غيب، أي ليست مشهودة فيها.

ومقتضى كل ذلك كون تلك الموجودات الشاعرة الحية العاقلة هي من الأنوار المخلوقة قبل السماوات والأرض قبل الملائكة وقبل آدم، وهو قوله ﷺ: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» وأن تلك الأنوار الحية الشاعرة العاقلة ليست هي نور آدم ولا نور الأنبياء والمرسلين، وإلا لكان آدم عالماً بذاته ولما احتاج أن يعلم بموجودات غير ذاته.

وكذلك لما احتاج بقية الأنبياء والمرسلين في استخلافهم عن الله في الأرض إلى تعلم تلك الأسماء مع أن الآيات قاضية بأن مقام الخلافة الإلهية عن الله إنما يستأهلها أفراد البشر- من الأنبياء والمرسلين والذي كان آدم هو المصداق الأول إنما يستأهلونها بالعلم بتلك الموجودات كسنة إلهية دائمة كلية في مقام جعل الخليفة في الأرض.

وهذا المفاد لهذه الآيات متطابق للروايات الواردة عنهم ﷺ في ذيل هذه الآيات، وقد تضمنت تلك الروايات التنبيه على دلالة وظهور الآيات على مثل ذلك وأنها في الأنوار الخمسة ﷺ كما في روايات اشتقاق النور كما تقدم وسيأتي مفصلاً كذلك.

أما من السنة:

فالأولى: روايات بدء الخلقة الآتية حيث دلت على أن أول ما خلق نور سيد الرسل ﷺ ثم نور عليّ ﷺ ثم نور فاطمة ﷺ ثم الحسين عليهما السلام ثم نور التسعة من ذرية الحسين ﷺ مما يدل على تقدم خلقتهم النورية على سائر الأنبياء والرسل وبالتالي حجية تلك

الأنوار عليهم صلوات الله عليهم.

الثانية: أخذ ولايتها وطاعتها على الأنبياء، وهو استفاد من الوجه الثاني المتقدم في الكتاب، وقد تقدّم في رواية دلائل الإمامة حول مصحف فاطمة عليها السلام عن أبي بصير وقوله عليها السلام:

«ولقد كانت عليها السلام طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطيور والوحش والأنبياء والملائكة»^(١).

وفي رواية بصائر الدرجات عالٍ اسنادها عن حذيفة بن أسعد قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تكاملت النبوة لنبّي في الأرض حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي عليهم السلام فمثلوا له فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم»^(٢).

الثالث: ما روي من قولهم عليها السلام:

«لولا أنّ أمير المؤمنين تزوّجها لما كانت لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه»^(٣).

وقد أشار إلى ذلك المجلسي رحمه الله بقوله: إنّه يستدلّ به على كون علي وفاطمة عليهما السلام أشرف من سائر أولي العزم سوى نبينا صلى الله عليه وآله إلى غير ذلك من الوجوه الروائية التي لا مجال لهذا المختصر من ذكرها.

١. دلائل الإمامة، باب <فاطمة الزهراء>، خبر مصحفها، الرقم المسلسل للحديث ٣٤، ص ١٠٦.

٢. وقد أورد المجلسي في بحار الأنوار (كتاب الإمامة، أبواب سائر فضائلهم ومناقبهم وغرائب شؤونهم، الباب ٦: باب تفضيلهم على الأنبياء وعلى جميع الخلق...) ٨٨ رواية ذكر فيها تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء راجع بحار الأنوار ٢٦٦/٢٦ - ٣١٩.

٣. بحار الأنوار ٤٣/ ١٠، الحديث ١ (أبواب تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء، الباب ٢: أسماؤها وبعض فضائلها).

المقام الثالث

مريم بنت عمران

هتل ضربه الله لفاطمة

عليها السلام

قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِنِينَ﴾^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ مثلاً ضرب الله لفاطمة عليها السلام وقال: إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَحَرَّمَ اللَّهُ ذَرْيَتَهَا عَلَى النَّارِ»^(٢).

وقبل ذلك، لا بدّ من التنبيه إلى قاعدة في باب المعارف أشارت إليها روايات أهل البيت عليهم السلام وهي أنّ ما ذكر في القرآن الكريم - من الأنبياء والرسل والأوصياء والحجج وما لهم من مقامات ومناصب وشؤون إلهية - من غاياته المهمة كونه مثلاً ضربه الله تعالى لمقامات وشؤون النبيّ وأهل بيته عليهم السلام، وهذه القاعدة باب يفتح منه أبواب عديدة.

فالمماثلة بين حالتي فاطمة عليها السلام وبين مريم عليها السلام تتمّ من وجوه قرآنية - أي ستكون المقارنة بينها على أساس استقراء قرآني للآيات الواردة في مقامات مريم عليها السلام وبين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في مقامات فاطمة عليها السلام - لنجد مدى الترابط الوثيق ووضوح المشتركات التي تؤهّل الباحث من متابعة أوجه التشابه بين المقامين.

١. التحريم / ١٢.

٢. البرهان في تفسير القرآن / ٤ / ٣٥٨.

مقامات السيدة مريم عليها السلام

إذا كانت مريم عليها السلام قد فضّلها الله بكمالات تقارب كمالات الأنبياء والرسل وهي سيّدة نساء عالمها فكيف بسيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فاطمة بنت محمّد صلوات الله عليها.
عن المفضّل بن عمر قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن قول رسول الله في فاطمة: أنّها سيّدة نساء العالمين، أهي سيّدة نساء عالمها؟ فقال: تلك مريم كانت سيّدة نساء عالمها، وفاطمة سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»^(١).

والمراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ليس مطلق العالمين إلى يوم القيامة، بل هو عالم زمانها، نظير قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) وقوله تعالى على لسان موسى خطاباً لبني إسرائيل: ﴿قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) وكذا قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ

١. دلائل الإمامة، باب <فاطمة الزهراء>، أخبار في مناقبها، الرقم المسلسل للحديث ٥٨، ص ١٤٩.

٢. آل عمران / ٤٢.

٣. البقرة / ١٢٢ و ٧.

٤. الأعراف / ١٤٠.

مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ^(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ^(٢)﴾
 فَإِنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ تَفْضِيلَهُمْ عَلَى كُلِّ الْأُمَّمِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهَا تَفْضِيلُهُمْ عَلَى عَالَمِينَ زَمَانِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ^(٣)﴾ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
 شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا^(٤)﴾ مما يعني أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ وَإِنْ أُرِيدَ مِنْهَا بَعْضُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مَضَافًا إِلَى مَا سَيَأْتِي مِنْ دَلَالَةِ الْآيَاتِ مِنْ أَفْضَلِيَّةِ
 مَقَامَاتِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام عَلَى مَرْيَمَ عليها السلام.

فالمراد من اصطفاء مريم على العالمين هو عوالم الأمم من العرقيات والأقوام والملل والنحل
 التي كانت تعيش في زمانها من شرق الأرض وغربها.

ولكي نستقرأ مقامات فاطمة عليها السلام يجدر بنا أن نتعرض للإشارات القرآنية عن مقام مريم عليها السلام
 ليتبين لنا مقامات سيّدة نساء العالمين، عندها فلا تكون أية غرابة فيما تعتقده الإمامية من
 مقامات فاطمة عليها السلام وسيتبين من النصوص القرآنية النازلة فيها أنّ تلك المقامات حاصلة
 للصديقة عليها السلام، بغض النظر عن الأولوية المتقدّمة وما ورد في مريم عليها السلام لا يكون إلا وهو مبين لما
 قد ورد فيها عليها السلام وستكون الأولوية حاكمة في معرفة وبيان مقاماتها بعد ذلك.

مريم وتحديث الملائكة لها

إنّ ما ذكرناه من الإشارة إلى مصحف فاطمة عليها السلام وكيفية نزول جبرئيل عليها ليُسَلِّبَها بمُصَابِ

١. الجاثية/ ١٦.

٢. الدخان/ ٣٢.

٣. آل عمران/ ١١٠.

٤. البقرة/ ١٤٣.

أبيها بعدما دخلها من الحزن الشديد، لم يكن ذلك إلا حالة من حالات الوحي، إلا أنه وحي غير نبوي أثبتته القرآن في مواضع عديدة لرجالٍ ونساء كاملين في مقام الحجية لقوله ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾^(١).

ومعلوم أن ما وقع لمريم عليها السلام من وحي هو قسم أعظم من نزول جبرئيل عليه السلام، وذلك لحصول القسم الأول لها مضافاً إلى الثالث، كما أن تقديم ذكره في الترتيب في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾ لشرفيته على القسمين الثاني والثالث وهو الإيحاء من وراء حجاب وارسال رسول يوحى بإذن الله تعالى.

والشاهد على حصول الأول لها قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ- قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَيَعْلَمُهُ...﴾^(٢) وفاعل ﴿قال﴾ ههنا هو الله تعالى لأنها وجَّهت قولها مخاطبة الله تعالى متصلاً بالآيات السابقة في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾^(٣) ففي الآيات السابقة الإشارة إلى نزول الملائكة عليها وقولها لها بالبشارة.

ويشهد لكون الخطاب والقول هو من الله تعالى في الآية المزبورة، أن القول لم يكن من جبرئيل كما قد يتوهم؛ إذ تمثل جبرئيل لها والذي تستعرضه سورة مريم كان بعد مدة زمنية فاصلة عن نزول الملائكة بالبشارة.

١. الشورى / ٥١.

٢. آل عمران / ٤٧-٤٨.

٣. آل عمران / ٤٥.

ويشهد لذلك أيضاً أنّ مريم عليها السلام أعادت تعجّبها: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ - وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾^(١) من دون توجيهه إلى الله تعالى، وكانت إجابة جبرئيل لها بتذكيره لجواب الله تعالى المتصل ببشارة الملائكة في سورة آل عمران.

وعلى ذلك فيظهر من سورة آل عمران أنّ الوحي الذي حصل لمريم بُعيد الوحي بتوسط الملائكة بالبشارة، هو من الوحي بدون وساطة الرسول الملائكي ولم يكن تكليماً من وراء حجاب، أي أنّه من النمط الأول من أقسام الوحي المشار إليه في سورة الشورى وهو أعلى أنماط الوحي كما يدلّ عليه الترتيب الذكري، وهو لا يحصل في الغالب إلاّ للأنبياء المرسلين من طبقة أولى العزم وفي بعض حالاتهم. فهذه منقبة ومقام عظيم يتلوه القرآن الكريم لمريم بنت عمران. كما أنّ مفاد الوحي لمريم هو إبلاغها بنبوة عيسى وبعثته بشريعة الإنجيل، فكان تصديقها بكلمات الله وكتبه بتوسط الوحي الذي حصل لها، لا عبر نبيّ مرسل وهو زكريا عليه السلام أو يحيى عليه السلام وقبل تولّد ابنها النبيّ عيسى عليه السلام، فكانت قد أوكل إليها مسؤولية إبلاغ نبوة عيسى عليه السلام إلى الملائكة من قومها.

وهذا نظير ما ورد في الصديقة الزهراء عليها السلام من نزول اللوح الأخضر. عليها المتضمن لأسماء الأئمة عليهم السلام وما ورد من أنّ مصحفها عليها السلام متضمّن للوصية بالإمامة في ذريتها، كما أنها كانت محدّثة من قبل الملائكة كما كانت مريم مع أنها ليست بنبيّ، وقد روى الصدوق في علل الشرائع بإسناده عن إسحاق بن جعفر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنما سميت فاطمة عليها السلام محدثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء تناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين.

يا فاطمة، اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها.

قالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيّدة نساء عالمها وأنّ الله عزّ وجلّ جعلك سيّدة نساء عالمك وعالمها وسيّدة نساء الأولين والآخريين»^(١).

على أنّ مريم أوجي إليها وكلمتها الملائكة ولم تكن نبياً ولا رسولاً، فالتحديث لم يقتصر - إذنّ على نبويّة الموحى إليه، بل يكفي ذلك أن يكون من حجج الله تعالى كما هو الحال في مريم عليها السلام، إذ كلمتها الملائكة وحديثها بالبشارة، وقد دلّت مجموعة آيات على تحديثها منها:

قوله تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيّاً * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيّاً * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ - وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمراً مَقْضِيّاً﴾^(٢).

فتلك المحاورّة بين مريم وبين الوحي تبيّن الإصطفاء الإلهي المقدّس الذي حظيت به مريم عليها السلام، فتمثّل جبرئيل بشراً سوياً ليُلقي لها البشارة من الله تعالى ويكشف ذلك عن الدرجة التي

١. علل الشرائع / ١٨٣.

٢. مريم / ١٦ - ٢١.

بلغتها مريم كحجة من حجج الله تعالى، إذ التمثل هذا نظير التمثل الذي حدث لإبراهيم عليه السلام عند إتيانه البشارة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾^(١) البشارتان كانتا في سياق واحد، إنه منح إبراهيم إسحاق ويعقوب نبين، كما منحت مريم عليها السلام عيسى نبياً مرسلًا، فالتشابه في مهمتي نبي الله إبراهيم لتلقيه البشري في إسحاق ويعقوب كمهمة مريم في تلقيها البشارة الإلهية في عيسى عليه السلام، وهذه البشارة الإلهية لها دلالاتها الخطيرة في مهام المبرر فضلاً عن المبرر به.

على أن حالتي التمثل لدى نبي الله إبراهيم عليه السلام هي نفسها حالة التمثل التي حصلت لمريم عليها السلام، والتمثل لم يكن تغييراً في التمثل حقيقة، بل هو تغير في ظرف الإدراك، فلا تغير إذن في الخارج ولا في نفس الماهية الملكية للوحي.

ومن هنا سيتبين عظم مسؤولية مريم عليها السلام من كونها في مصاف الأنبياء، ومن هداهم الله واجتباهم من غير النبيين وهي مريم عليها السلام التي تحتل مقام الحجية لله تعالى بما يقارب حجية الأنبياء إلا في خصوصيات النبوة والرسالة.

ولم تقتصر حالة التكليم للملائكة من قبل مريم، بل تترقى إلى الوحي المباشر مع الله تعالى مع أن وحي الله تعالى كان قبل تمثل جبرئيل لها.

قال تعالى حكاية عن مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾. قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(٢).

فالوحي الإلهي المباشر الذي حظيت به مريم عليها السلام يكشف عن خطورة المنزلة التي تحتلها مريم

١. هود/ ٧٠.

٢. آل عمران/ ٤٧.

ﷺ، إذ الوحي الإلهي المباشر لا يختصّ به إلا بعض الأنبياء وفي أوقات خاصّة، وهذا نظير ما حدث لزكريا ﷺ حين كلمته الملائكة وبشّرتّه بيحيى.

ومن ثم كان وحي الله تعالى له مباشرة يكشف عن حقيقة مهمة، وهي تشابه حالتي زكريا ومريم في تلقي البشارة وتكليم الملائكة لهما ومن ثم تكليمها الله تعالى، فحالتنا الإصطفاء والبشارة كما حدثت لنبيّ الله زكريا حدثت مثلها وفي ظرف زمني متقارب لحجّة الله مريم ﷺ، دليل على التقارب بين مهمّتي المقامين، أي مقام النبوة لزكريا ومقام الحجّة لمريم.

والآيات التالية تتكفل ببيان المقام، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(١).

فتوارد النظائر في الحالتين دليل على وجود ترابط ظاهر أو خفي بين حالتي نبوة زكريا وحجّة مريم ﷺ، والنظائر الواردة في الآية للحالتين كما يلي:

إتيان البشارة لزكريا وتكليمه الملائكة أثناء عبادته لله تعالى، فقال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾.

كما أنّ البشارة لمريم وتكليمها الملائكة حين قيامها لله تعالى منتبذة قومها قال تعالى ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٢).

١. آل عمران / ٣٩-٤٠.

٢. مريم / ١٦-١٧.

وتكليم نبي الله زكريا لله تعالى بلا واسطة، قال تعالى حكاية عن زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(١) وهو نظير ما حدث لمريم عليها السلام، قال تعالى حكاية عن مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرٌ. قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾^(٢).

فكلاهما عرضا مقتضي الإمتناع عن قابليتهما لبشارة الغلام، إذ احتجّ زكريا كون امرأته عاقراً غير مقتضية للحمل وهي في هذا السن المتقدم، ومريم احتجّت بكونها غير قابلة للحمل لعدم امكان ذلك من دون زوج، وكان جوابه تعالى لهما واحداً: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ مما يدل على وحدة المقام لكلا الحالتين: حالة زكريا وحالة مريم، فضلاً عن ارتباط المهمتين.

والتشابه بين البشارتين تتكفله سورة مريم، قال تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٣). على أن لا نغفل عما تقدّم من دعاء زكريا من كون دعائه في طلب الولد كان معللاً بخوفه الموالي من بعده أن لا يحسنوا خلافته، إذ كان زكريا مشفقاً على دعوته أن لا يخلفها أحد من بعده، فهو سيخلف من ورائه موالي سوء، لا يحسنون خلافته في دعوته فضلاً عن وراثته مما ترك، مما يعني أن يحيى سيواجه خطر التنافس على وراثته أبيه فضلاً عن عدم التصديق به من قبل قومه ومواليه، وكون هؤلاء يتحنون موت زكريا ليتوثّبون على خلافته، وسيكون لمريم وابنها أثر مهمّ في تأييد دعوة يحيى وتصديقه، إتماماً لرسالة زكريا ودعوته وحفظهما من الضياع الذي سيؤل إليه تنافس قومه. فمريم عليها السلام سيكون موقفها موقف المدافع والمصدّق لرسالة زكريا في

١. آل عمران/ ٤٠.

٢. آل عمران/ ٤٧.

٣. آل عمران/ ٣٩.

حفظ يحيى من تكذيب قومه ووثوبهم على خلافته، لكونها يشتركان في نفس المهمة. وسيأتي التماثل بين فاطمة وبين مريم في مقام الحجية، فإن فاطمة عليها السلام أيضاً أثبتت بحجيتها خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتمثلة في علي بن أبي طالب عليه السلام إبان صراعها ومدافعتها المتوثبون للخلافة حيث تحفزوا أن يخرجوا وراثه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من آله عليهم السلام، تماماً كما تماثلت ظروف وراثه زكريا وما آلت إليه الخلافة الإلهية ليحيى حيث قتلوه ونكلوا به أخيراً.

حجية مريم بنت عمران عليها السلام

وحجية مريم صرح بها القرآن بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^(١) و«الآية» هي الحجّة، أي: جعلنا عيسى وأمه حجّة.

عن يحيى بن أبي القاسم عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ قال: «أي حجّة»^(٢).

فحجيتها عليها السلام في عرض حجية ولدها عيسى نبي الله، بل حجيتها سبقت حجية عيسى، كما أنّ حجية عيسى تلت حجيتها زماناً واقتضاءً.

فالترتب الزمني بين الحجّتين ظاهر، إذ كان تكليم الله لها وكذلك الملائكة قبل ولادة عيسى بفترة، على أنّ السبق الزمني لا يكون بالضرورة لخصوصية معينة، وإنّما هي أشبه بحالات إرهاب لنبوة عيسى عليه السلام ولا شك أنها خصوصية عظيمة ومنزلة رفيعة.

فقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ أي: إنّ المسيح وأمه كليهما من أصول الديانة

١. المؤمنون / ٥٠.

٢. البرهان ٣ / ١١٣.

المسيحية، بل من الإعتقادات اللازم الإعتقاد بها عند المسلمين أيضاً لوجوب الايمان بكل كلمات الله وآياته وكتبه ورسله وآياته وحججه، لقوله تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(١)، أي: إن مريم عليها السلام من الحجج الإلهية، كما سيأتي بيان الآيات الأخرى المفسرة لمعنى كونها آية.

كما أنها مقتضى لنبوّة عيسى عليه السلام لكونها قد حظيت بتكليم الله تعالى فضلاً عن تحديث الملائكة لها وتلقيها البشارة، كما أن تبّلتها ومقامها وفضلها كان إحدى مرتكزات بني اسرائيل كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾^(٢) وقوله ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾^(٣) مما أكّد على مصداقيتها لديهم. فكان قبول معجزة عيسى ونبوّته بعد ذلك إحدى موجبات حجّيتها لديهم، لذا فإنّ أخيارهم وعقلائهم قبلوا المعجزة وسلّموا لها، وبقي جُهالم وطغاتهم يخوضون في بهتانها وايداءها وهو شأنهم.

فأمّر الله تعالى لها بتحمّل مسؤولية الإنجاب بطريقة المعجزة من دون زوج، إحدى مقتضيات نبوّة عيسى وشريعته المباركة. فحجّيتها عليها السلام هي من حيث أنها المبلّغ الأول لبعثة النبيّ عيسى وشريعته المسيحية، حيث أنها أمرت من قبل الله تعالى بتحمّل مسؤولية الإنجاب بطريقة المعجزة من دون فحل ليمهد الطريق لبيان المعجزة لنبوّة عيسى وشريعته، ثم أمرت من قبله تعالى بحمله والمجيء به إلى بني اسرائيل وأن لا تكلمهم وأن تشير إليه ليستنطقوه فيتكلّم في

١. البقرة/ ٢٨٥.

٢. آل عمران/ ٤٤.

٣. آل عمران/ ٣٧.

المهد، فهي قد قامت بكلّ هذه المسؤوليات الموظفة من قبله تعالى لها لتبليغ واطهار المعجزة الأولى على نبوة عيسى عليه السلام.

وكان ذلك عن اعتقاد منها بنبوة عيسى بتوسط ما أوحى لها من دون وساطة النبي زكريا أو غيره من الأنبياء في زمانه، فهي ابتدأت بإبلاغ شريعة جديدة من دون أخذ هذا الأمر الإلهي ذي الشأن العظيم الخطير من نبي ولا رسول ولا بوساطة النبي عيسى أيضاً، وهذا ما تعنيه الآية الكريمة ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾.

فلولا حجّية مريم وحجّية ما يوحى إليها لكان بإمكانها إبطال المعجزة الإلهية وهي ولادة عيسى من دون أب، بأن تدّعي - والعياذ بالله - أنه لقيط وجدته في الطريق أو أنها ولدته عن زوج غائب أو ما شابه ذلك، فانظر إلى مقام كمال حجّيتها ودورها في إبلاغ الرسالة في قوله تعالى ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(١).

فهذا النمط من المجاهدة والمخاطرة بالعرض بأمر من الله تعالى وتعيين منه، فهو حكمة بالغة من الله تعالى في اختيار هذا النمط من الجهاد، بحيث لا يتأدّى إقامة الدين إلّا بذلك من دون تدنّس وابتذال في العرض ولا زوال لطهارته وعصمة مناعته، وإنّما هي مخاطرة ظاهرية بالسمعة.

وهذا نظير ما وقع لعترة النبي صلى الله عليه وآله بعد واقعة كربلاء المفجعة، حيث كان فضح بني أمية وزئغهم عن الدين وعداؤهم لصاحب الرسالة لا يتم إلّا بالمخاطرة بعيالات النبوة وتعريضهم للسبي من قبل بني أمية، ووقوف عقيلة بني هاشم وخفرة الطالبين في مجلس الطاغية ابن زياد

ومجلس يزيد وإلقاء خطبها لبيان حقانية سيد الشهداء عليه السلام وبطلان بني أمية وحزبهم .
 إذَنْ فما جرى للسيدة مريم عليها السلام من المخاطرة بحرمتها وقدسيتها قد جرى على حرمة وقدسية
 فاطمة عليها السلام؛ إذ خاطرت بحرمتها وقدسها في الذب عن إمامة علي عليه السلام وذلك بالتصدي للمهاجرين
 على بيته عليه السلام، فكان في ذلك فَضْحٌ لكلِّ ستار يتخفى من ورائه أصحاب السقيفة لغصب الخلافة
 وتحريف مسيرتها في الأمة، ومن ثمَّ أحسَّ الخليفة الأول بانتصار قضية علي عليه السلام في الإمامة،
 وإدحاض دعواه وصحبه فلم يمسك غيظه حتى تكلم بهجين الكلام وهو على منبر رسول الله
صلى الله عليه وآله كما نقل ذلك ابن أبي الحديد.^(١)

فبلوغ مريم إلى مراتب الحجية كان سبباً في تأسيس الشريعة العيسوية واكتمالها.
 كما أنّ حمل المولود المعجزة والمجيء به إلى قومها تعدد إحدى أخطر مهامها وأصعبها تحملاً
 فهي مجاهدة ومخاطرة بالعرض وهو أشدّ للغيارى من قتل النفس؛ إذ لم يكن من اليسير أن
 تتحمل أقدس عفيفة في زمانها مسؤولية التهمة والبهتان ومحاوله تحدي أمة لم تصل إلى مستوى
 الرشد، بل لازالت في حضيض الجهل والسوء فكانت معاناتها النفسية مما هي فيه من الإستحياء
 ومخافة اللوم ما أدى بها الى تمنى الموت ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا﴾.^(٢)
 قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «لأنها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهاها من السوء»^(٣) مما
 يكشف شدة معاناتها ووطأة المهمة الملقاة على عاتقها، إلا أن ذلك لم يفت في عضدها، ولم يحبط
 هممتها، ولم يززع تسليمها وانصياعها وطاعتها لله تعالى ولأمره شعرة، بل ذهبت مع ما فيها من

١. شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢١٥.

٢. مريم / ٢٣.

٣. كنز الدقائق ٨ / ٢١٠.

آلام التوجسات والخواطر، تحمل ولدها المعجزة لتثبت بكلّ تسليم واقتدار تحمّل المسؤولية المباركة.

ويكشف في الوقت نفسه ما وصلت إليه من الإكتمال في التسليم والإنصياع وتحمل المسؤولية من حين تحديتها الملائكة وقبولها لذلك، ولم يصدر منها أدنى تردد أو اعتذار لقبول المهمة، مما يعني بكل تأكيد كونها طرفاً مهماً في بلوغ الرسالة العيسوية هذا المبلغ من الإقتدار على تحدي طعام بني اسرائيل ولثامهم وزحفها مخترقة كلّ حواجز اليهودية المتربصة لرسالات السماء. فتلخّص:

أولاً: إنّ الذي بدأ بإبلاغ بعثة النبيّ عيسى هي مريم عليها السلام وهو نمط فريد في بعثة الرسالات الإلهية أن يكون الحامل الأول للبعثة هي امرأة.

ثانياً: إنّهُ يدلّل على كمال ايمان مريم بما أوحى لها من الأوامر الإلهية من دون توسط نبيّ فيما بينها وبين الله تعالى.

ثالثاً: إنّهُ يدلّل على حجّية الوحي للمرأة المصطفاة المطهّرة، ولو قدّر - العياذ بالله - أنّ مريم لم تؤمن بما أوحى إليها ولم تتمثل ما أمرت به مباشرة لكان في ذلك إخفاق للمعجزة الإلهية على نبوة عيسى وبعثته بديانة ناسخة لشرعية موسى عليه السلام، أي ولادته من غير أب.

فمن ثم كانت عصمة مريم وأتمها من الصفوة المنتجة للحجّية على العباد آية إلهية مع ابنها على حقانية بعثة ونبوة وشرعية النبيّ عيسى عليه السلام في زمانه. فمن ثمّ جعلت من أصول الديانة والشرعية العيسوية كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ بل هذه الآية الإلهية واجبة الإعتقاد في الشريعة الإسلامية؛ لوجوب الإعتقاد بكلّ آيات الله وكلماته وكتبه ورسله.

وسياتي نظير هذا المقام للزهراء عليها السلام حيث احتج الله تعالى بها على حقانية نبوة سيد المرسلين وبعثته وشريعته كما في آية المباهلة، وأعطاه الله تعالى مقام ودور صاحب الدعوة للدين من قبله تعالى، وأن الخمسة أصحاب الكساء صادقون فيما يبلغونه عن الله تعالى من شريعة الإسلام ونبوة سيد الرسل.

كما أن حجية مريم عليها السلام أصل من أصول الديانة المسيحية، إذ كونها هي وابنها آية، أي حجة، يجب على معتقي المسيحية التسليم لها وقبولها والإعتقاد بها فهي المتمم لحجية عيسى ورسالته. فنرى أن القرآن الكريم في السور العديدة لا يدحض اعتقاد المسيحيين والنصارى في جعلهم مريم وعيسى كليهما من أصول الإعتقاد والديانة بل يدحض تأليههم لها، فلا يخطئهم في كونها من أصول الدين بل غاية الأمر أنه يحدّد غلوهم الذي هو في تأليههم في مريم وعيسى، فيؤكد القرآن على بشريتها مع تصريحه بكونها معاً آية وحجة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾^(٢).

مراحل الإعداد والإصطفاء

ولم تزل مريم ابنة عمران تحضى برعاية الربّ ورضوانه طالما نذرت نفسها لطاعته وعبادته وانقطاعها إليه، فيغدقها بالرحمة ويجبوها بالكرامة ومن ثم يصطفئها لحجيتها ويطهرها ويفضلها على نساء العالمين.

١. المائدة/ ١١٦.

٢. المائدة/ ٧٥.

ولم يكن الإصطفاء إلا بعد مراحل تتدرج فيها مريم بنت عمران ثمّ الله يتقبّلها قبولاً حسناً ويُنبتّها نباتاً حسناً. فهي تحت قيمومة النبوة ورعاية الرسالة، وهذا أمر موجب لخصائص الإصطفاء والتطهير لتلك المرأة التي سلّمت إرادتها للمرأة الصالحة - امرأة عمران، أمّها التقية - حين نذرت ما في بطنها محرراً لله تعالى، وبالفعل تستجيب تلك الطاهرة لإرادة الله فتتقاد مسلمة لطاعته وعبادته، وهي أول مرحلة تظهر فيها مريم قابليتها للإصطفاء وقدرتها على تلقي إرادات الله تعالى، وإلا فمن غير اليسير أن تستجيب فتاة في الإنقطاع عن الدنيا وملذّاتها لتبتّلها للوفاء بنذر أمّها حتى كانت تحت إرادتها طيّعة بارّة مطمئنة بقضاء الله تعالى عابدة متبتّلة بكلّ إيمان وشوق وانقياد مما يكشف عن مكنون الايمان الذي أودع في مطاوي تلك النفس الكريمة واستحقاقها بكلّ جدارة تحمّل المسؤولية الإلهية في الحجية والإصطفاء.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٠﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾﴾.

فالإعداد لتكون مريم صالحة للحجّة يجري تحت رعاية الله تعالى وبقيمومة زكريا نبيّ الله الذي أوكل بتلك المهمّة.

ومن هنا فالإعداد لفاطمة الزهراء (عليها السلام) تشمل مرحلتين:

الأولى: إعداد النبي صلى الله عليه وآله لتلقي هذه الكرامة وقبولها.

والثانية: إعدادها عليها السلام تحت رعاية الرسالة وقيمومة النبوة، وقد قال تعالى في مناقب مريم **﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾**، وفاطمة عليها السلام قد كفَّلها سيِّد الأنبياء فضلاً عن سيِّد الأوصياء، فتلك المنقبة لها بنحو أرفع وأعظم.

إذن فبعدما بلغت مريم مراتب الكمال لقابلية الإصطفاء نادتها الملائكة ببشارة الإصطفاء **﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾**^(١) والآية معطوفة على قوله تعالى **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**^(٢) مما يعني أن إصطفاء مريم كان بمستوى إصطفاء الأنبياء من آدم ونوح وآل إبراهيم، أي إصطفاءً نبوياً تختلف ماهيته بحسب حيثيات النبوة والإمامة التي لا تكون إلا في سنخ الرجال بخصوصيات ليس هنا محل بحثها.

فإصطفائها الأول هو قبولها لعبادة الله ومن ثم تطهيرها بعصمة الله وبالتالي إصطفائها لحجَّيته، فمراحل الإصطفاء تتدرج من نشأتها وترقى بتطهيرها وتكتمل بحجَّيتها.

التشريك في النعمة... تشريك في الحجَّية

وإذا خصَّ الله عيسى برسالته وهو نبيّه، فإن مريم بنت عمران اشتركت في نعم الله السابعة مع نبيّه، أي تكون الإشتراك في النعمة دالة على القرب إلى الله ورفيع المنزلة والكرامة لديه، مما يعني وجود اشتراك في سنخية المهمة بين عيسى ومريم بنت عمران، قال تعالى **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ**

١. آل عمران / ٤٢.

٢. آل عمران / ٣٣.

وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾.

وهذه النعمة نعمة لدنيّة إلهية خاصة بالمصطفين من أوليائه، نظير قول سليمان ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾^(١) وهي النعمة التي أشار إليها تعالى عندما أدرج مريم في مصاف الأنبياء والرسل في سورة مريم حيث قال تعالى: ﴿ذِكْرٌ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾^(٢) وقال: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾^(٣) بعد ذكر يحيى ثم ذكر عيسى فقال: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٤) ثم ذكر اسحاق ويعقوب ثم قال: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٥) ثم قال: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٦) ثم قال: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٧).

وكان قد ذكر لكل واحد منهم ما وهب الله له، فوهب لزكريا يحيى ووهب لمريم عيسى، ووهب لإبراهيم اسحاق ويعقوب، ووهب لهم من رحمته وجعل لهم لسان صدق ووهب لموسى أخاه هارون نبياً، ثم قال تعالى في نهاية المطاف: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

١. المائدة/ ١١٠.

٢. النمل/ ١٩.

٣. مريم/ ٢.

٤. مريم/ ١٦.

٥. مريم/ ٤١.

٦. مريم/ ٥١.

٧. مريم/ ٥٤.

٨. مريم/ ٥٦.

مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا^(١) فأدرج مريم في من هدى واجتبي في مصاف الأنبياء، وأنَّ نعمة الإجتباء والإصطفاء في مضاهاة نعمة النبوة لكونها من النعم اللدنية من نعم الله تعالى.

فتماثل النعمة دال عليه الذكر المشترك الذي عنى بهما القرآن لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ فعدم اختصاصه بالنعمة واشتراك والدته بالذكر دليل على النعم المشتركة التي فضل الله بهما حجبة عيسى ومريم، فالإمتنان الإلهي على كلا المذكورين يستوجب اشتراكها بجميع ما أوردته الآية الكريمة.

الإعتقاد بحجبة مريم ومقامها من خصوصيات الدين الإسلامي

على أننا نوكد في الوقت نفسه أن هذا الإعتقاد بحجبة مريم ومقامها إحدى خصوصيات دين الإسلام الحنيف، الذي نوكد تعظيم مقام المرأة وامكانها بلوغ الكمال والرشد، وذلك بفضل الطاعة لله تعالى والتقوى والعفة، ولا يكتفي الإسلام بالشعارات التافهة التي ترفعها الحضارة الغربية والتي لم تر أدنى قابلية الرشد والكمال للمرأة كما تراه الإسلام في نماذجه الطاهرة العفيفة، كمریم بنت عمران وفاطمة الزهراء عليها السلام.

إذ دعوى الحضارة الغربية بالدفاع عن حقوق المرأة وتكريمها تتكاذب مع ممارساتها اللاإنسانية في إضعاف مقام المرأة وتسقيطه إلى مستوى العبت والمتعة، فضلاً عن إلغاء اعتقادها بمقام مريم وعظمتها وشرف مسؤوليتها في انبثاق الديانة المسيحية لكمال حجبتها التي من المفترض أن تكون من دواعي الديانة المسيحية، إلا أن الحضارة الغربية المطالبة بحقوق المرأة

تغفل عما حظيت به المرأة من المقام السامي والشأن الكريم لدى الدين الإسلامي. فالعقيدة الإسلامية بمقام السيّدة مريم وجهدها في نشوء الرسالة العيسوية وحجّيتها الإلهية، فضلاً عن المسؤولية العظمى والحجّية الكبرى التي تختص بها فاطمة الزهراء (عليها السلام) إحدى دواعي الإعزاز بهذين المقامين الشاخين اللذين كرّمهما الله تعالى بحجّيته. فالمطالبة بحقوق المرأة تكمن حقيقته في تحديد رسالتها السامية بتربيتها للأمة تربية صالحة، وباستطاعتها كذلك هدايتها للأمة هداية تتناسب وتوجهات سعادتها وكمالها كما هو الحال في شأن مريم بنت عمران (عليها السلام) وهدايتها للأمة من خلال حجّيتها التي منحها الله تعالى تكريماً لها، وكما في سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي أثبتت لياقتها التامة في تحملها مسؤولية تشخيص الانحرافات العقائدية والسياسية بعيد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مستخدمة حجّيتها التي منحها الله تعالى، وهذا ما لم تجده في أية حضارة أخرى تدّعي المطالبة بحقوق المرأة حتى تجعلها وسيلة لهو ومتعة تتداعى من خلالها كلّ شعارات الحرّية الوضعية البعيدة عن النهج الرسالي القويم.

الوسط الاسلامي... والتطرف المسيحي

ولم تهتد المسيحية لابتعادها عن الحق في تشخيص مقام مريم وابنها المسيح، فتطرّفت في ذلك حتى جعلت المسيح ثالث ثلاثة، وألّمت المسيح وأمه، وقد عالج الإسلام هذه المشكلة الفكرية التي وقعت بها المسيحية لابتعادها عن حقيقة تعاليمها السماوية، وأبطل أول الأمر الألوهية لهذين العبدین القانتین لله تعالى، وأكد خضوع المسيح وعبوديته لله سبحانه ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ

النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١﴾ إذ حدّد مهمّة عيسى أولاً وهي العبودية المحضّة والطاعة الخالصة لله الواحد الأحد، ودون ذلك شرك وظلم يستحقّ معتقده النار.

ثم أشار إلى بشرية عيسى وأمه وأكّد على أنّها بشران وأنهما نالا مقام الحجّية لله تعالى بطاعتها وعبادتها له، فأشار لأحدهما بالرسالة وللآخر بالحجّية بقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١٢﴾.

فالإسلام أكّد حدود بشريتها أولاً، ثم أشار إلى حجّيتها ثانياً بطاعتها وعبوديتها لله تعالى، ومع ذلك كلّ ما وُجِدَ من الكافرين غير التكذيب والإفك؛ إمّا معاداة أو علواً على الله تعالى بادعائهم ألوهيتها. فلذا يصرّح القرآن بكلّ شدة على كفر من قال إنّ المسيح هو الله، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴿١٣﴾ ولم يكتفوا هؤلاء بغيّهم وكفرهم حتى جعلوا الله ثالث ثلاثة وأشار إلى كفرهم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿١٤﴾.

فقد دأب القرآن الكريم إلى كشف هذه الاعتقادات المزيّفة وفضحها لغرض تقنين المعتقد وعدم تسيّب الفكر بسبب الدوافع العاطفية والتي تؤوّل إلى فوضى فكرية حقيقية، فحدّد القرآن معالم هذا المعتقد وأطره ضمن مبادئ ومسلّمات عقائدية والخروج عن هذه الدائرة الفكرية سيؤول إلى الغلو والضلال ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

١. المائة/ ٧٢.

٢. المائة/ ٧٥.

٣. المائة/ ٧٢.

٤. المائة/ ٧٣.

الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا^(١).

فالقرآن كما استنكر على النصارى غلوهم في المسيح وأمه، كذلك استنكر على اليهود تقصيرهم في الإقرار بمقامهما والعداء لهما والخصومة. فهو كما ينفي الغلو ينفي التقصير في التسليم لهما في الحجية، فلا تستدعي حجيتهما الألوهية ولا تستدعي بشريتهما عدم الحجية.

وهذا ما يركّز عليه القرآن الكريم في كثير من الأنبياء والرسول كما في قوله تعالى تعليماً لنبية ﷺ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ - مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ﴾^(٢) فالوحي لا ينفي البشرية ولا البشرية تنفي تميزه واختصاصه بالوحي، وقوله تعالى حكاية عن ابراهيم ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾^(٣) وكذا بقية الأنبياء حسبما يذكره القرآن الكريم مع أقوامهم، فإنهم في الغالب يقعون في أحد الطرفين؛ إمّا التقصير وظنّ أنّ البشرية تنفي الحجية والإرتباط بالغيب، أو الغلو وأنّ الإرتباط بالغيب ينفي البشرية، كما حصل لليهود في عزير.

فالطريقة الوسطى والمحجّة الواضحة نفي كلّ منهما، والتسليم بالحجّية وأنهم بشر، وهذا المسلك ينفي الإفراط والتفريط، كما ينفي المعادة لأولياء الله. فالوظيفة اتجاه حجج الله هي أن لا يكون الفرد من الغالين المفوضين، ولا من الناصيين المعادين ولا من المقصّرين المرتابين، كما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: «فالراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمقصر - في حقكم

١. النساء / ١٧١.

٢. الكهف / ١١٠.

٣. مريم / ٤٣.

زاهق».

فبعد أن حدّد ماهية المسيح البشرية وأشار إلى رسالته، نهى الخروج عن دائرة هذا التشخيص والقول بخلاف هذه الحدود البشرية لرسول الله المسيح وأمه الصديّقة.

أما ما يشهد للتشريك بالحجّية، فضلاً عن اشتراكهما في ذكر النعم والمنن عليهما من قبل الله تعالى فلقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^(١) و«الآية» هي الحجّة كما هو معلوم عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ قال: «أي حجّة»^(٢)، فاقتراهما في ذكر كونها آية دليل على تقارب حجّيتهما واشتراكهما كذلك.

١. المؤمنون / ٥٠.

٢. البرهان ٣ / ١١٣.

التشابه بين مقامي مريم وفاطمة عليهما السلام

وغرضنا من الإسهاب في مقام مريم عليها السلام سيتضح إذا ما عرفنا أن وحدة المناط بين مقامي مريم وفاطمة عليهما السلام سيكون بالأولية القطعية المسلمة لدى الفريقين.

فإذا كانت مريم سيّدة نساء زمانها قد حازت على تلك المقامات السامية التي شهد بها القرآن الكريم من الإصطفاء والعصمة، فإن فاطمة سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين^(١) ستكون لها تلك المقامات التي تثبت حجّيتها كذلك، بل إن تصريح القرآن بمقامات فاطمة الزهراء عليها السلام يضاهي ويعظم عمّا صرّح به في مقامات مريم فيغنيننا في الإستدلال عن الأولوية وإن كانت هي حقيقة ثابتة في روايات الفريقين فليس بدعاً إذن أن تعتقد الإمامية ما تعتقده في فاطمة الزهراء عليها السلام.

فإن صريح القرآن يثبت حجّية مريم بما لها من المقامات الإلهية الثابتة وهي حجّة لإحدى

١. البخاري ٤/ ٢٤٨، وفي مناقب فاطمة عليها السلام نفس الحديث وكذلك في مجلد ٨/ ٧٩ * وصحيح مسلم ٤/ ١٩٠٤، حديث ٩٧، والحديث بلفظ سيّدة نساء أهل الجنة ومعلوم أن ذلك يؤول إلى أنها سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين * جامع الأصول ٩/ ١٢٩ - ١٣١، حديث ٦٦٧٧ وطبعة دار احياء التراث ح ٦٦٦٥ * الترمذي ٥/ ٧٠١، حديث ٣٨٧٢ - ٣٨٧٨ * وسنن أبي داود ٤/ ٣٥٥، حديث ٩٨ و ٩٩.

الشرائع السماوية فكيف بفاطمة الزهراء عليها السلام وقد أثبت لها صريح القرآن دخولها تحت عنوان أهل البيت الذي شمل نبي الشريعة الخاتمة! مما يعني أن هناك مقاماتٍ يشترك بها أهل البيت تخصصها بعد ذلك رتبهم الإلهية.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

اتفق الفريقان على نزولها في أهل البيت، محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

أخرج السيوطي عن ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أم سلمة رضي الله

عنها زوج النبي صلى الله عليه وآله:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان بيته على منامة له، عليه كساء خيري، فجاءت فاطمة رضي الله عنها

برمة فيها خزيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أدعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً. فدعتهم، فبينما هم

يأكلون إذ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً﴾ فأخذ النبي صلى الله عليه وآله بفضلة إزاره فغشاهم إياها، ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها إلى

السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالها

ثلاث مرّات.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: فأدخلت رأسي في الستر، فقلت: يا رسول الله، وأنا معكم؟

فقال: إنك إلى خير، مرّتين^(٢).

هذا ما أخرجه أهل السنة في شأن نزولها ولعلّ طرقها بلغت العشرات لتصل إلى حدّ التواتر

دون أدنى ريب.

١. الأحزاب / ٣٣.

٢. الدر المنثور / ٦ / ٥٣١ - ٥٣٢ (ذيل آية ٣٣ من سورة الأحزاب).

وما رواه الإمامية من طرقهم كثير إلا أننا سنختصر على ما أورده صاحب البرهان في تفسيره من رواية عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبي بصير قال:

«سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) قال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام.

فقلت له: إنّ الناس يقولون فما له لم يسمّ علياً وأهل بيته عليهم السلام في كتاب الله عزّ وجلّ؟

قال: قولوا لهم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم.

ونزلت عليه الزكاة ولم يسمّ لهم من كلّ أربعين درهماً درهماً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم.

ونزل الحجّ فلم يقل لهم طوفوا سبعاً وكان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم.

ونزلت ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ونزلت في علي والحسن والحسين عليهم السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

وقال عليه السلام: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيته، فإني سألت الله عزّ وجلّ أن لا يفرّق بينهما حتى يوردهما على الحوض، فأعطاني ذلك.

وقال: لا تعلّموهم، فهم أعلم منكم.

وقال: ثم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة.

فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يبيّن من أهل بيته لادّعاها آل فلان وآل فلان ولكن الله

عز وجل نزل في كتابه تصديقاً لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليها السلام فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال: اللهم إن لكل نبي أهلاً وثقلاً وهؤلاء أهل بيتي وثقلي.

فقال أم سلمة: ألسنت من أهلك؟

فقال: إنك إلى خير ولكن هؤلاء أهلي وثقلي.

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كان عليّ أولى الناس بالناس لكثرة ما بلغ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأقامه للناس وأخذ بيده، فلما مضى عليّ لم يكن يستطيع علي ولم يكن ليفعل أن يدخل محمد بن علي والعباس بن علي ولا أحداً من ولده إذا لقال الحسن والحسين: إن الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبلغ فينا رسول الله صلى الله عليه وآله كما بلغ فيك وأذهب عنا الرجس كما أذهب عنك»^(١).

والذي يعيننا من هذه الرواية على طولها:

إنّ هناك اشتراكاً في حيثيات الحجية لأهل الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير وخصصتهم الروايات المتواترة من قبل الفريقين بأنهم: رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وعليه فإنّ قول الإمام عليه السلام «إذا لقال الحسن والحسين: إنّ الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك، وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبلغ فينا رسول الله صلى الله عليه وآله كما بلغ فيك واذهب عنا الرجس كما أذهب عنك...» مما يعني أنّ إذهاب الرجس عنهم، له خصوصية في اثبات الحجية، فكما

سيحتج الحسان لإثبات حجيتها بآية التطهير فإن لفاطمة الحجية كذلك منتزعة من آية التطهير ولا ذهاب الرجس عنها ﷺ.

وتلخص من ذلك: أنه كما أثبت حجية السيدة مريم ﷺ باصطفائها وتطهيرها لقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١) أمكن إثبات حجية السيدة فاطمة ﷺ باصطفائها وتطهيرها للأولوية.

ووجه الأولوية: أن فاطمة ﷺ قد تمَّ إصطفائها وتطهيرها بآية التطهير مع النبي ﷺ وعليّ والحسينين ﷺ الذين ثبتت حجيتهم القطعية؛ لكون الآية مشيرة إلى اشتراك الحكم بين أهل البيت ﷺ الذين كانوا تحت الكساء ومنهم فاطمة ﷺ.

وخصوص المطهر في الأمة الإسلامية في شريعة هذا الدين قد أثبت له القرآن وصفاً آخر وهو مسّ الكتاب المكنون الذي فيه حقيقة القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٢).

ففي الآية قد عظم الله تعالى القسم فيها بوجوه عديدة لا تخفى على المتأمل في تركيب ألفاظ الآية التي قد تربو على سبعة وجوه، كل ذلك لتأكيد القضية التي أراد القسم عليها. ثم أكد القضية بوجهين آخرين أيضاً مما يدل على أن القضية خبرية وليست إنشائية، والمخبر به هو كون

١. آل عمران / ٤٢.

٢. الواقعة / ٧٩ - ٨١.

القرآن ذو حقيقة تكوينية مكنونة علوية، وأن المصحف المنقوش بين الدفتين تنزيل لتلك الحقيقة من دون تجافي تلك الحقيقة التكوينية المحفوظة في كِنّ القرآن عن موقعها العلوي، وأن تلك الحقيقة لا يصل إليها ولا يدركها إلا المطهر في شرع الإسلام.

والكتاب المكنون هذا الذي فيه حقيقة القرآن قد وصف في سورة الأنعام بأنه الذي يُستطر فيه كل رطب ويابس، وفيه ما من غائبة كما في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٦).

١. الأنعام/ ٥٩.

٢. الرعد/ ٣٩.

٣. النمل/ ٧٥.

٤. النحل/ ٨٩.

٥. سبأ/ ٣.

٦. فاطر/ ١١.

فقد وصف الكتاب بأوصاف جامعة محيطه بكلِّ مغيبات الخلق المستقبلية، ما هو كائن وما يكون وما هو خفي في النشآت العلوية، ومن ثم كان مصحف فاطمة عليها السلام مشتملاً على الإخبار بالأمر المستقبلية بما كان وما هو كائن، الدالُّ على أنَّ إحاطتها عليها السلام بذلك لإحاطتها بحقيقة القرآن العلوية في الكتاب المكنون بعد دلالة آية التطهير كونها مطهرة من كلِّ رجس ودلالة سورة الواقعة على أنَّ كلَّ مطهر في هذه الشريعة يمسُّ الكتاب المكنون، وهذا مقام لم تصل إليه مريم، بل هو خاص كما ذكرنا بالمطهرين في شرع الإسلام دون الشرائع السابقة.

فاطمة عليها السلام فوق مقام الأبرار

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(١).

وصف لحال الأبرار الذين نعموا برضوان الله تعالى وكرامته وبيان لمقامهم، وأظهر مصاديق هذا المقام الكريم أنهم يشربون كأساً مزوجة بكافور.

ثم تنتقل الآية إلى وصف العين التي منها شراب المقربين، وهي عين يتولى أمرها عباد الله إذ يفجرونها تفجيراً، فمن هم هؤلاء الذين يتولون تفجير هذه العين وأمرها، ومن ثم يسقون منها الأبرار؟

إنَّ الآية تكفلت لبيان هؤلاء المتولِّين لأمر تلك العين وهم عباد الله الذين صفاتهم:

١ - يوفون بالندر.

٢ - يخافون يوم القيامة الذي يكون شره مستطيراً مهولاً.

٣ - يُطعمون المسكين واليتيم والأسير لله تعالى عطاءً خالصاً لا يرجون من غيره جزاءً ولا

شكوراً.

فَمَنْ هؤُلاءِ إذن؟

اتفق الفريقان أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقد أورد الحاكم الحسكاني

في شواهد التنزيل^(١) بأربع وعشرين طريقاً أنها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وخلاصة القصة: أنهم عليهم السلام نذروا إن عوفي الحسنان أن يصوموا لله تعالى ثلاثاً، فلما عوفيا،

وفوا بنذرهم فجاءهم في اليوم الأول مسكين فأعطوه طعامهم وسألهم في اليوم الثاني يتيم

فأعطوه طعامهم ووقف ببابهم أسير فأعطوه طعامهم، فباتوا ثلاثاً طائرين. فأنزل الله فيهم هذه

الآيات، فثبتت صفة عباد الله الذين يفجرون تلك العين لهم عليهم السلام.

فإذن هم الذين يفجرون عين الكافور ويُفيضون منها على الأبرار ليمتزج شرابهم بقليل من

العين، أي إنهم واسطة فيض على الأبرار ولهم القيمومة التامة على ذلك، وهذا يطابق قيمومتهم

على الأبرار وأنهم المقرّبون في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا

عَلَيُونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢).

فشهادة كتاب الأبرار من قبل المقرّبين دليل على قيمومة المقرّبين على الأبرار وشهادتهم

عليهم. فالمقرّبون هم الشهداء على كتاب الأبرار، أي أعمالهم، ولذلك ورد في الزيارة الجامعة

الكبيرة «أنتم الصراط الأقوم وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء..» وفي موضع آخر من

١. شواهد التنزيل ٢ / ٣٠٣.

٢. المطففين / ١٨ - ٢١.

الزيارة «شهداء على خلقه وأعلاماً لعباده» هذه هي شهادة المقرَّبون وهمنتهم على الأبرار، والمقرَّبون هؤلاء هم السابقون الذين وصفتهم الآية بقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١) مع أن سورة الدهر لم تنزل في سياقات وصف المقرَّبين وهم الذين يوفون بالندر ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطِرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَلْفُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِيرًا * فَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾^(٢).

هذا حال المقرَّبين، ويطلق هذا الوصف لعباد الله وارتفاع مقامهم عن الأبرار ما في سورة المطففين من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٣).

فهذه الآيات تشير أيضاً إلى أن المقرَّبين واسطة فيض للأبرار وهم الذين يمزجون شراب الأبرار بشيء من التسنيم، ولأنهم وسطاء فيض فهم يشهدون أعمال الأبرار.

١. الواقعة/ ١٠-١١.

٢. الدهر/ ٧-١٧.

٣. المطففين/ ١٨-٢٨.

وهذا يتطابق مع ما تقدّم من أنّ المطهّرين في هذا الشرع المقدس، المعصومين يمّسون الكتاب في اللوح المحفوظ المكنون الذي يستطر فيه كلّ غائبة، ومنها أعمال العباد.

فالمطهّر هو المقرّب، وهم عباد الله الذين يسقون الأبرار من عين يفجّرونها تفجيراً، وتلك العين هي عين الكافور، وهي عين فوق مقام الأبرار. والسلسيل الذي هو مصدر المقرّبين والعين التي يسقون منها هو رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ هو القيّم على المقرّبين الذين هم أهل البيت عليهم السلام وهو مصدرهم.

فتلخص إذن: أنّ الأبرار يُسقون كأساً ممزوجة بالكافور، والمقرّبون هم مصدر الأبرار، والسلسيل مصدر المقرّبين التي يسقون ويُسقون منها، على أنّ السقاية من العين وتفجيرها، تعني أنّ المقرّبين هم واسطة إفاضة على الأبرار، فيفيضون النور والعلم والحكمة والهداية على الأبرار.

وهؤلاء المقرّبون - وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام - يُفاض عليهم من عين السلسيل بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله. فعلمهم وراثته من رسول الله صلى الله عليه وآله كما في الروايات الواردة عنهم، مما يعني أنّ المقرّبين هم في مقام الحجية والقيمومة المهيمنة على الخلق؛ إذ قيمومتهم تصدر من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ينص على حجّيتهم وإمامتهم بأمر الله تعالى.

وبذلك يتّضح مقام فاطمة عليها السلام وكونها إحدى وسائط الإفاضة على الخلق النابعة من مصدر إلهي يمثله رسول الله صلى الله عليه وآله وظهر أنّها شاهدة لله على الخلق، وأنّها هادية لهم، وأنّها من الراسخين في العلم الذين يمّسون الكتاب المكنون في اللوح المحفوظ، فهي من الذين أوتوا العلم وأثبت في صدورهم وأنّها ممّن يُعرض عليها أعمال العباد.

فاطمة عليها السلام من المطهّرين الذين يمسون الكتاب

وإذا ثبت أنّ المطهّرين هم محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بحكم آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فإنّ من خصوصيات المطهّرين أنهم هم الذين يمسون كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٢﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١) أي: لا يعلمه إلا المطهّرون.

ولا يعني «المسّ» هنا مسّ نفس الوجود الخطي والكتبي للقرآن الكريم، إذ لا معنى لذلك بل الآية في مقام الإشارة إلى مكنونية هذا الكتاب بمثل هذا القسّم المغلّظ الذي يتعلّق بالأمر الخبري لا الإنشائي. فلفظ «لا» في الآية نافية لا ناهية، بل يقصد الإخبار.

كما أنّه قد وصف الكتاب المكنون بأنّه الذي تنزل منه القرآن المصحف الذي بين الدفتين. فالقرآن في الكتاب المكنون له حقيقة علوية لا يتناولها إلا المطهّر المعصوم، وتلك الحقيقة بعيدة عن أفهام الناس إلا بواسطة المطهّرين. والمطهّرون هم أهل بيانه وتفسيره ومعرفته، وهم العالمون ببطونه وعلومه ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾^(٢) ولا يعلم تأويل الكتاب إلا الراسخون في العلم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٣) قال أبو عبدالله عليه السلام: «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله».

وإذا ثبت أنّ المطهّرين هم المقرّبون - كما تقدّم ذكره من أنّ المقرّبين هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام - فإنّ الكتاب المكنون لا يمسه إلا المطهّرون.

١. الواقعة / ٧٧-٧٩.

٢. الزخرف / ٤.

٣. آل عمران / ٧.

أخرج السيوطي عن ابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ قال: عند الله في صحف مطهرة ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال: المقربون.^(١)

وإذا كان المطهرون هم المقربون الذين يمسون الكتاب ويعلمون تأويل بواطنه فإن لهم الحجية من الله تعالى على الخلق، إذ الحجّة هو الموصل لمعرفة الطريق إلى الله.

ومن هنا نعلم أنّ إحاطتهم عليهم السلام بكلّ شيء دليل حجّيتهم، إذ علمهم بالكتاب يعمّ علمهم بكلّ شيء، فالكتاب محفوظ فيه علم كلّ شيء لقوله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.^(٢)

فالحجّية تعني ولايتهم على الخلق بقسميّها؛ ولايتهم التشريعية المنبثّة من مقام علمهم بالكتاب الذي يضمّ علم كلّ شيء، إذ الولاية التشريعية لا تتمّ إلا بمعرفة أحكام كلّ شيء فهي من لوازم العلم. وبحكم علمهم بكتاب الله فإنّ لهم الولاية التكوينية على الخلق، إذ هذا القرآن - بحقيقته المكونة التكوينية المملوكة الذي لا يعلمه إلا المطهرون - موصوف بقابليته الإلهية المودعة فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى...﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٤) فالحجّية هي المقام الإلهي المنبثّة منها ولايتهم عليهم السلام بقسميّها.

وبهذا سيتمّ لنا معرفة مقام فاطمة عليها السلام من حيث معرفتها بكتاب الله وبواطنه وعلومه، ومن

١. الدر المنثور ٨ / ٢٦ (ذيل آية ٧٧ من سورة الواقعة).

٢. الأنعام / ٥٩.

٣. الرعد / ٣١.

٤. النمل / ٤٠.

حيث ولايتها التشريعية والتكوينية معاً.

وقد رُوِيَ في عرض ولايتها على الخلق كباقي ولاية أصحاب الكساء والأئمة المعصومين عليهم روايات عديدة فلاحظ. ^(١)

فاطمة عليها وحجبتها لدين الإسلام

وفيه جهتان:

الجهة الأولى:

تُعَدُّ آية المباهلة من أهم الآيات التي أثبتت حجبة فاطمة عليها؛ إذ هذه الآية كانت مقام الفصل بين حقانية الدين الإسلامي ونسخ غيره من الأديان.

فالنصارى الذين احتج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكلّ حجة لم يذعنوا في الظاهر، وتمادوا في تشكيكهم وتكذيبهم لدعوة النبي صلى الله عليه وآله ولم يملكوا إلا الإذعان لما دعاهم النبي صلى الله عليه وآله للتباهل إلى الله تعالى ليلعن الكاذب، ولم يجد النصارى بُدّاً من القبول بذلك، حتى إذا أراد النبي صلى الله عليه وآله مباهلتهم علموا صدق النبي صلى الله عليه وآله بالخروج بالمباهلة بنفسه وأهل بيته، مما دعى النصارى إلى التسليم لصدق دعوته وإذعانهم إليه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ

١. بحار الأنوار ١١ / ١٧٢، الحديث ١٩ (كتاب النبوة، أبواب قصص آدم وحواء وأولادهما، الباب ٣: إرتكاب ترك الأولى ومعناه...) وكذلك ٢٧ /

١٩٩ و ٢٠٠، الحديث ٦٦ و ٦٧ (كتاب الإمامة، أبواب ولايتهم وحجهم وبغضهم، الباب ٧: باب أنه لا تقبل الأعمال إلا بالولاية) وكذلك ١٦ /

٣٦١، الحديث ٦١ (تاريخ نبينا، الباب ١١: فضائله وخصائصه وما امتن الله به على عباده) وكذلك ٣٦ / ٢٦١، الحديث ٨٢ (تاريخ أمير المؤمنين،

الباب ٤١: في نصوص الرسول على الأئمة) وكذلك ٣٧ / ٦٢ و ٦٣، الحديث ٣٠ و ٣١ (تاريخ أمير المؤمنين، الباب ٥٠: في مناقب أصحاب الكساء)

* وفي معاني الأخبار / ٣٨-٣٩.

عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾.

أخرج السيوطي في الدرّ المنتور عن جابر قال: «قدم على النبي صلى الله عليه وآله العاقب والسيد فدعاهما إلى الإسلام، فقالا: أسلمنا يا محمد. قال: كذبتما، إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام. قالوا: فهات.

قال: حُبُّ الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير.

قال جابر: فدعاهما إلى الملاعنة، فواعدها إلى الغد، فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيباه وأقرأ له. فقال: والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهما ناراً.

قال جابر: فيهم نزلت ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ الآية قال جابر: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ، و﴿أبناءنا﴾ الحسن والحسين، و﴿نساءنا﴾ فاطمة. (٢)

وروى ذلك السيوطي بعدّة طرق، وأخرج الحاكم النيسابوري في شواهد التنزيل القصة في تسع طرق. (٣) وروى ذلك ابن كثير في تفسيره عن جابر. (٤)

فمباهلة النبي صلى الله عليه وآله بعليّ وفاطمة والحسن والحسين يعني احتجاجه على النصارى بهؤلاء الذين هم الحجّة على صدق دعوة النبيّ وبعثته. كما أنّ المباهلة تعني بحسب ماهيتها أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعل هؤلاء المتباهل بهم شركاء في دعوته، مما يعني أنّ مسؤولية الدعوة تقع على عاتقهم كذلك بحجّيتهم ومقامهم، مشيرة إلى وجود تعاضد وتقاسم بينهم وبين النبيّ صلى الله عليه وآله.

١. آل عمران / ٦١.

٢. الدرّ المنتور ٢ / ٢١٩. (ذيل آية ٦١ من سورة آل عمران).

٣. شواهد التنزيل ١ / ١٨٣ - ١٩٨.

٤. تفسير ابن كثير ١ / ٤٨٤.

كما يفيد ذلك حديث المنزلة الذي رواه الفريقان، عن سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ قال لعليّ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي»^(١) فمنزلته ﷺ بمنزلة هارون، وصفٌ لحجّيته ومشاركته في دعوته كما شارك هارون موسى في دعوته. فهذه المقاسمة والمشاركة في المنزلة دليل حجّيته ﷺ كما أنّ مشاركة عليّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ في المباهلة مع النبي ﷺ دليل حجّيتهم ومشاركتهم معه ﷺ في تبليغ صدق بعثته ﷺ هذا ما تُبيّنه آية المباهلة من مقام فاطمة ﷺ وحجّيتها كذلك.

فهذه مقامات يمكن متابعتها في اصطلاحات القرآن تفسّر -مقام الزهراء ﷺ وأنها بنص القرآن حجة من حجج الله تعالى في مصاف الأنبياء والرسول.

وما روي عن أبي جعفر ﷺ في حجّية فاطمة ﷺ قوله: «ولقد كانت فاطمة ﷺ طاعتها مفروضة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطيور والوحش، والأنبياء والملائكة»^(٢). فتحصل: أنّ مؤدّى آية المباهلة هو نصب الله تعالى فاطمة ﷺ حجة على حقانية الإسلام ونبوة نبيّه وشريعته؛ لاحتجاجه تعالى بها على النصارى وأهل الكتاب، فلم يحصر -تعالى الحجّية على الدين بالنبي ﷺ، بل جعل الخمسة كلّهم حجة على دينه.

ومقتضى - هذا الإحتجاج منه تعالى أنّ متابعة عليّ وفاطمة والحسين ﷺ للنبي ﷺ وتصديقهم به هو بنفسه دليل على صدق النبي ﷺ ورسالته، نظير قوله تعالى ﴿كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً﴾

١. ذخائر العقبى ١ / ٢٨٧ (في ذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، باب ذكر أنّه من رسول الله بمنزلة هارون من موسى) و ٣٨٧ (الفصل السابق، باب ذكر أنّ جمعاً من الصحابة لما سُئلوا أحوالوا في السؤال عليه). وأخرجه البخاري (في فضائل الصحابة، باب مناقب عليّ بن أبي طالب وفي المغازي، باب غزوة تبوك) ومسلم (باب الفضائل).

٢. عوالم العلوم ١ / ١٧٢ (أبواب فضائلها ومناقبها، الباب ١٣: باب أنّها مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله تعالى). * وفي دلائل الإمامة، باب (فاطمة الزهراء)، خير مصحفها، الرقم المسلسل للحديث ٣٤، ص ١٠٦.

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١﴾ حيث جعل شهادة (مَنْ عنده علم الكتاب) دليلاً على صدق النبي صلى الله عليه وآله، من سنخ شهادة معجزة القرآن التي هي شهادة الله لنبيه والآية من سورة الرعد المكية نزولاً النازلة في عليّ، حيث لم يسلم من أهل الكتاب في مكة أحد، بل لا يخفى على اللبيب الفطن أن (مَنْ عنده علم الكتاب) شامل للمطهرين في شريعة الإسلام وهم أصحاب آية التطهير، لأنهم هم الذين يمسون الكتاب المكنون كما أشارت إليه سورة الواقعة وتقدم مفصلاً.

فمنه يعلم أن قوله تعالى ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ مفادها هو مفاد آية المباهلة في كونها حجة على بعثة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا المعنى هو الذي يشير إليه ما رواه الواقدي أن علياً عليه السلام كان من معجزات النبي صلى الله عليه وآله كالعصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى. ^(١)

ففي مقام الإحتجاج على أهل الأديان لم يأمر الله تعالى نبيه بدعوة زوجته أمهات المؤمنين ولا أحدٍ من الصحابة ولا سائر بني هاشم، ولا يخفى أن تعيين الخمسة عليهم السلام للمباهلة لم يكن موكولاً للنبي صلى الله عليه وآله، بل بأمر من الله وتعيين وتنصيب من الله في قرآنه النازل، وإن كان النبي صلى الله عليه وآله مأموراً بدعوتهم للمباهلة.

وبمعنى آخر: إن المباهلة في اللغة تعني الملاعنة ودعاء كل طرف على الآخر، وهي إنما يتوسل بها في مقام الإحتجاج وإقامة الحجة من كل طرف على مدّعا في قبال الآخر - كما يشير إلى ذلك صدر الآية ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ - وعند عدم استجابة أحد الطرفين لحجة الطرف الآخر، فتكون المباهلة نوعاً من حكم الله بين الطرفين وكأنه استعجال لحكم الله وقضائه الأخرى إلى

١. الرعد / ٤٣.

٢. الفهرست لابن النديم، الفن الأول من المقالة الثالثة / ١١١.

هذه النشأة الدنيوية.

ولا ريب أن أهمية وخطورة المباهلة تتبع مورد المباهلة، فكلمًا ازداد خطورةً اختلفت أهمية حكم الله وفصل قضائه وبالتالي اختلفت نوعية حكمه تعالى، كما أن مقتضى ماهية المباهلة كون طرفي المباهلة هما المتداعيان، أي: كلُّ منهما صاحب دعوة في قبال الآخر، فكلُّ منهما هو صاحب دعوى المتحمل لتلك الدعوى، كما هو الحال في بقية النزاعات والخصومات أن يكون كلُّ منهما على تقدير صدق دعواه وثبوتها هو صاحب الحق ومن له صلة بالحق، كما لا معنى للنيابة في الخصومة في مقام الحلف وما هو من قبيله كالمباهلة.

وإذ تبيّنت ماهية المباهلة حكمًا وموضوعًا ومتعلّقًا، يتبيّن أن الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله عليهم، هم أصحاب الدعوة للدين بالأصالة، وأنّ كلاً منهم ذو صلة وشأن في حقانية الدين وصدق البعثة النبويّة، ومعنى صدقهم في دعواهم أنّ كلاً منهم يجبر عن علمه بصدق الرسالة ونزول الوحي على النبيّ ﷺ وانبعائه بدين الإسلام.

ومن ثمّ لا بدّ أن تكون علومهم لديّهم تؤهّلهم للتصدّي لهذه الدعوة، إذ بالعلم اللدنيّ وحده يمكن الإطّلاع على نزول الوحي، وبالتالي فإنّ مسؤولية حفظ الدين وحمايته تقع على الخمسة بنحو المشاركة، مما يدلّل على وحدة سنخ المقام والمنصب الشرعيّ - عدا النبوة - فضلًا عن ولايتهم الشرعية على الدين.

الجهة الثانية:

ما ورد في الحديث القدسي: «لولاك ما خلقت الأفلاك ولولا عليّ لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما جميعاً».

وفي تفسير الحديث ثلاثة أوجه:

الأول: الوجه الكلامي:

قد يتوهم في بادئ النظر أن معناه هو أفضلية عليّ أو فاطمة عليهما السلام بالنسبة إلى الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، وليس كذلك فإن الرسول صلّى الله عليه وآله أفضل الكائنات وسيّد البرايا «فدني فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى دنواً واقتراباً من العليّ الأعلى»، وقال عليّ عليه السلام «أنا عبد من عبيد محمد صلّى الله عليه وآله» أي المأمور بطاعته صلّى الله عليه وآله.

بل مفاده نظير ما رواه الفريقين عن النبي صلّى الله عليه وآله «عليّ منّي وأنا من عليّ» و«حسين منّي وأنا من حسين» وهو يحتمل أوجه من المعاني، منها: إن الغرض والغاية من خلق بدن الرسول صلّى الله عليه وآله في النشأة الدنيوية وابتعائه لا يكتمل إلا بالدور الذي يقوم به عليّ وفاطمة عليهما السلام من أعباء إقامة الدين وإيضاح طريق الهداية، نظير قوله تعالى النازل في أيام غدیر خم يوم تنصيب النبي صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام إماماً ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١) فقد جعل تبليغ الرسالة مرهوناً بنصب عليّاً إماماً ليقوم بالدور الذي يلي النبي صلّى الله عليه وآله.

وكذا قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تُخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(٢) وهو أيضاً نزل في أيام غدیر خم، فرضى الربّ بالدين مشروط بما أقيم في ذلك اليوم حيث يبس الكفار من إزالة الدين الإسلامي والقضاء عليه، لأنّ القيم على الدين وحفظه لن ينقطع بموت النبي صلّى الله عليه وآله بل باق ما

١. المائدة / ٦٧.

٢. المائدة / ٣.

بقيت الدنيا.

ونظير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١) فجعل الرسالة في كفة، ومودّة الرسول ﷺ في كفة معادلة؛ وقال تعالى: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^(٢) و﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٣).

فكانوا هم السبيل إليه تعالى والمسلك إلى رضوانه وأن الدور الذي قامت به فاطمة عليها السلام من إيضاح محجة الحق وطريق الهداية في وقت عمّت الفتنة المسلمين ولم يكن من قالع لظلمتها ودافع للشبه إلا موقف الصديقة الطاهرة عليها السلام.

فقد كان ولا يزال حاسماً وبصيرة لكلّ المسلمين ولكلّ الأجيال؛ إذ هي التي نزلت في حقّها آية التطهير والدهر وهي أمّ أبيها، إذ الأمومة للرسول ﷺ هو مقام لا يقاس به الأمومة للمسلمين، وهي روح النبي ﷺ الذي بين جنبيه، فكلّ هذه الآيات والأحاديث النبويّة لم تنزل حيّة وغيضة في آذان المسلمين.

وهذا المعنى للحديث حيثنذ يقرب من مفاد قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤) أي: ليعرفون ثم يعبدون وذلك بوساطة هداية الرسول والدين الحنيف بإقامة الأئمة عليهم السلام له بعده عليه السلام.

الثاني: الوجه الفلسفي

١. الشورى / ٢٣.

٢. سبأ / ٤٧.

٣. الفرقان / ٥٧.

٤. الذاريات / ٥٦.

قد حُرِّرَ في علم المعقول تعدُّد الغاية، فمنها غاية نهائية ومنها غايات متوسطة، كما قد حرَّرَ أنَّ العِللَ الغائية بحسبِ مقامٍ تكونُ متعكِّسةً بحسبِ مقامٍ آخر.

ولنمثِّلَ لذلك بمثال يوضح هذا الأمر، فقد يقول القائل: إنِّي أذهب إلى المدرسة لكي أتعلِّمَ، وإنِّي أتعلِّمُ لكي أحصلَ على الشهادة العليا، كما يصحُّ من هذا القائل قوله: لولا ذهابي للمدرسة لما تعلَّمتُ ولولا تعلُّمي لما حصلتُ على الشهادة العليا، كما يصحُّ منه القول: لولا الرغبة للحصول على الشهادة العليا لما تعلَّمتُ ولما ذهبتُ إلى المدرسة.

فالْحاصلُ من قول هذا القائل ليس مفاده أفضلية الذهاب إلى المدرسة من التعلُّمِ، ولا أفضلية التعلُّمِ من الدرجة العلمية الفائقة في حصول الشهادة، بل هذا التعليل هو بيان لدور وتأثير الغايات المتوسطة من دون أن يعني ذلك كونها غايات نهائية.

فما يوهمه ظاهر هذا الحديث من كون فاطمة عليها السلام علةً غائيةً نهائيةً وراء النبي صلى الله عليه وآله ليس بمراد، بل حاصل ما يعنيه أنَّها عليها السلام من الوسائط التي بمثابة غايات شريفة تتلو الغاية النهائية في المقام.

الثالث: الوجه العرفاني

ومحصِّله هو التنويه بالذات النورية للخمسة أصحاب الكساء، وأن بذواتهم النورية اشتقَّ اللهُ خلق بقية المخلوقات وهو نظير ما ورد في روايات الفريقين، «أول ما خلق اللهُ نور نبيِّك يا جابر» وفي رواية أخرى العقل، وفي لسان القرآن: الماء، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(١) فهو نظير الروايات الواردة في اشتقاق النور.

وقد أسند اللفظ في صدر هذه الرواية، وجعل الشرط في الشرطية الأولى ذات النبي صلى الله عليه وآله

الشريفة لا خلقتها، والمراد بها ذاته النورية التي هي من عالم الأمر، أي المخلوقة بالمعنى الأعم لا المعنى الأخص كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢) فالمخلوقات على قسمين: من عالم الأنوار، ومن عالم التراب والمادة الغليظة وهي النشأة الدنياوية.

ففي الشرطية الأولى جُعِلَتْ ذاتها النورية واسطة لفيض خلق الأفلاك، وفي الشرطية الثانية جُعِلَتْ ذات عليّ النورية واسطة فيض لخلق البدن الجسدي للنبيّ ﷺ وفي الشرطية الثالثة جُعِلَتْ ذات فاطمة النورية واسطة فيض لخلق بدن النبيّ ﷺ وبدن الوصيّ. فالتعبير في الحديث في غاية الدقة والظرافة، حيث لم يُسند في الشرطية الثانية ولا الأولى ولا الثالثة، ولم يُجعل الشرط في كلّ منها خلق الثلاثة الأظهار، بل جعل ذواتهم النورية وجعل الجزء في الشرطيات الثلاث الخلق، فليس التعبير «لولا خَلَقْتُ لولا خَلَقْتُ الأفلاك ولولا عليّ لما كنتَ ولولا خلقُ فاطمة لما خلقتكما» والمغزى في أسلوب هذا الحديث المثير للوهم، هو التنبيه على مقامات فاطمة (عليها السلام) وأنها تلو النبيّ ﷺ والوصيّ عليهما صلوات الله دون سائر الأنبياء والمرسلين، كما تقدّم يضحاه فيما سبق.

فالمحصّل: إن أول المخلوقات نور النبيّ ﷺ ثم نور عليّ (عليه السلام) ثم نور فاطمة (عليها السلام) ثم بقية الأنوار ثم بقية عوالم ونشآت الخلقة التي تتضمن الأبدان الشريفة للمعصومين. فنور عليّ وفاطمة

١. الأعراف/ ٥٤.

٢. يس/ ٨٢-٨٣.

يتوسط بين نور النبي صلى الله عليه وآله والأجساد الشريفة في تسلسل عوالم الخلقة، وهذا هو المراد من قولنا: إنَّ نور عليٍّ وفاطمة عليهما السلام واسطة فيض لخلق بدن النبي صلى الله عليه وآله كما أنَّ نور فاطمة عليها السلام واسطة لخلق بدنهما.

المقام الرابع

أهميتها للنبيؐ

طس الله عليه وآله

في مقابل

أهمية زوجات النبيؐ للمؤمنين

إنَّ الله تبارك وتعالى أكرم زوجات النبي الأكرم ﷺ بأن جعلهنَّ أمَّهات للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(١) وفيه إشارة إلى بعض آثار الأمومة من الإحترام والتكريم لهنَّ كاحترام الأمِّ الحقيقيَّة وتكريمها، ولكنَّ فاطمة عليها السلام قد فاقت منزلتها بحجَّيتها الإلهية، فإنَّ كانت زوجات النبي عليها السلام أمَّهات المؤمنين فهي أمٌّ للنبي عليها السلام بقوله «فاطمة أمُّ أبيها»^(٢) مما يشير إلى عِظم منزلتها وخطير درجتها.

فأمومتها له عليها السلام تعني أنَّ هناك علاقة ارتباط وثيق على مستوى الحجَّية، فإنَّ في أمومتها للنبي عليها السلام تنطوي - مضافاً إلى مهمَّة رعايتها له عليها السلام والقيام بشؤونه - جنبه إشراف ورعاية لدعوته وتصديقه، كإشراف مريم عليها السلام للنبي الله عيسى ورعايتها له فضلاً عن رعايتها لدعوته والقيام ببعض شؤون رسالته.

فكما أنَّ الرسالة العيسوية قد اعتمدت نشوءاً وبقاءً على مقام السيِّدة مريم من بدء الحمل، فإنَّ فاطمة عليها السلام حيث أنَّها تحتلُّ مقام الحجَّية - المشار إليها سابقاً - فيُعطي وقفتها عليها السلام بعداً آخر في تأييد النبي عليها السلام وتصديقه بدعوته؛ إذ اقترانها معه بأية التطهير ومشاركتها له بأية المباهلة وبيان

١. الاحزاب / ٦.

٢. بحار الأنوار ٤٣ / ١٩، الحديث ١٩ (تاريخ سيِّدة النساء فاطمة الزهراء، الباب ٢: باب أسماؤها وبعض فضائلها) وكذلك ٢٢ / ١٥٢، الحديث ٤ (تاريخ نبينا، أبواب ما يتعلَّق به من أولاده وأزواجه، الباب ١: عدد أولاد النبي (...)). * وتاج المواليد للطبرسي / ٢٠ * وفي مصادر أهل السنَّة ما رواه الحافظ ابن المغازلي في المناقب / ٣٤٠ * ومقاتل الطالبين لأبي فرج الإصفهاني / ٢٩ * المعجم الكبير للطبراني ٢٢ / ٣٩٧، الرقم ٩٨٥ و ٩٨٨ (باب بنات رسول الله، ذكر سنِّ فاطمة ووفاتها).

مقامها في سورة الدهر من كونها من المقرّبين الذين يفيضون على الأبرار ويتزوّدون من عين السلسيل وهي عين رسول الله صلى الله عليه وآله؛ كلّ ذلك يؤكّد أنّ أمومتها - إستناداً إلى حجّيتها - ستكون رعاية إشراف وحجّية للدين، وبهذا فكم فرق بين الأمومة للنبي صلى الله عليه وآله والأمومة للمؤمنين. ويحتمل معنى أمومتها للنبي صلى الله عليه وآله ما تقدّم في المقام السابق من كون وجودها النوري أصل لوجوده البدني، لأنّ الأمّ في اللغة تستعمل بمعنى الأصل، نظير ما ورد من أنّ المؤمن أبوه النور وأمّه الرحمة.

المقام الخامس

رضي فاطمة عليها السلام رضي الله
وغيرها غضبه

روى الفريقان أن رضى فاطمة رضى الله تعالى وغضبها غضبه، فقد روي في عوالم العلوم عن المناقب: أن النبي ﷺ قال: «يا فاطمة، إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك»^(١).
وعن كشف الغمة، عن الحسين بن علي عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «يا فاطمة، إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك»^(٢).

وروى أهل السنة بأسانيد مختلفة وطرق متكررة؛ مثل ما أخرجه محب الدين الطبري في ذخائر العقبى عن علي بن أبي طالب (عليه السلام): إن رسول الله ﷺ قال: «يا فاطمة، إن الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»^(٣).

ويُعدّ هذا الحديث من جملة الأدلة على إثبات عصمتها (عليها السلام)، مضافاً إلى آية التطهير التي تدلّ على عصمتها وحجّيتها على الخلق، حيث أنّ غضب فاطمة ورضاها تدلان على الرضا والغضب الإلهيين وهذا يعني أنّ غضب فاطمة ورضاها فرع غضب الله تعالى ورضاه، ومتى ما كان الأمر كذلك فإننا نستكشف بالدليل الإثباتي عصمتها (عليها السلام)، لأنّ الرضا والغضب الصادرين من شخص، لا يكون رضا وغضباً إلهياً إلا حينما يكون هذا الشخص بعينه معصوماً عن كلّ عيب ممتنعاً عن كلّ قبيح ليكون رضاه وغضبه في حدود الرضا والغضب

١. عوالم العلوم ١/ ١٥١، الرقم ٢٦ (أحوال سيدة النساء، الباب ٥: باب أن أذى فاطمة أذى الله وأذى الرسول).

٢. عوالم العلوم ١/ ١٥٢، الرقم ٣١ (نفس الباب).

٣. ذخائر العقبى ١/ ١٧٦ (في ذكر سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، باب ذكر ما جاء أنّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها).

الإلهيين.

وفاطمة عليها السلام حظيت بتلك المنزلة تدليلاً على عصمتها وطهارتها فضلاً عن حجيتها ومقامها الإلهيين.

كما أن في الحديث دلالة كافية للزوم ولايتها وطاعتها على الخلق حتى يحصل بذلك رضاها ويتحقق عدم غضبها عليها السلام، فإذا تحقق ذلك أمكن إحراز الرضا الإلهي وتجنب غضبه تعالى، مما يؤكد أن هذه المواصفات لا تتوفر إلا لمن تمتع بمقام الحجية والتطهير الإلهيين الملازم لوجوب الطاعة على الخلق.

على أنه عليه السلام عبّر عن حجيتها بماهية الحجية في العقل العملي لا بماهية الحجية في العقل النظري التي تبحث في علم المنطق كالأشكال الأربعة أو في علم أصول الفقه، والسرّ في ذلك أن الحجية في العقل العملي تستلزم الحجية النظرية دون العكس ومما يدل على مقام حجيتها وعصمتها العلمية والعملية.

وبيان ذلك: إن خاصية الحجية النظرية تختلف عن خاصية وماهية الحجية في الحكمة العملية، ففي بحث المنطق تذكر البراهين والأقيسة التي تشير إلى العقل العملي كما أن في أصول الفقه تذكر الحجية هي كاشفة، أي حاكية وموصلة.

أما الحجية العملية فإنها تتميز بكون هويتها وخاصيتها أنها لازم عملي وليس المقصود منه العمل الجارحي وحده بل العمل الجوانحي كذلك، أي الحجية العملية ترتبط بالصفات العملية في النفس، بل هي ترتقي فوق الصفات العملية ولا تقتصر على الجوانح، بل ترتقي إلى القلب لتشمل الحبّ والبغض، والرضاء والغضب، والتوليّ والتبرّيء،

فخاصية الحجية العملية إذن ترتبط بالجانب العملي على مستوى القلب الذي يكون أعلى من الإدراك الساذج البسيط.

ومن ثم فإن التعبير للحجية العملية لا يعبر عنها بتعبيرات الحجية النظرية، كما في التعبير عنها بالنور واليقين والبيان وغيرها؛ في حين يختلف الأمر عما هو عليه في الحجية العملية كما في قوله عَلَيْهِ السَّلَام «علي مع الحق والحق مع علي» وقوله عَلَيْهِ السَّلَام «إن الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها».

أو ما عبر عنه القرآن الكريم: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٣) فالتعبير بالمخلص تعبير عن الحجية لكن بما هي حجة عملية لا الحجية النظرية.

وكما في عناوين التطهير والإصطفاء وصفاً للأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمْ عَنْدَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارَ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٥).

وكما في عنوان «المقرب» كقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٦) فهو

١. يوسف/ ٢٤.

٢. الحجر/ ٣٩ - ٤٠.

٣. مريم/ ٥١.

٤. ص/ ٤٧.

٥. الأحزاب/ ٣٣.

٦. الواقعة/ ١٠ - ١١.

تعبير عن الحجية العملية وهو وإن كان عملاً إلا أنه على صعيد القلب، كما أن النور فوق الإدراك مع أنه على صعيد العمل.

إذن فالحجية العملية هي حجية نظرية مشوبة بعمل كما أنها أبلغ في البيان عن الحجية النظرية؛ لأن الحجية النظرية والعصمة النظرية (كلاهما بمعنى واحد) تؤمنان لنا العصمة والأمن من الزلل في التلقي النظري، في حين أنها لا تشمل الأمن من الخطأ في السلوك العملي، بينما الحجية العملية تؤمن لنا الأمن في التلقي النظري في حين أنها تؤمن الخطأ في السلوك العملي. فالتلقي النظري وعصمته أمر مفروغ عنها فضلاً عن الأمان والعصمة في التطبيق العملي، ومن ثم فتكون أبلغ في الأمان في علو درجة العصمة ومنزلتها من الحجية النظرية وحدها.

إذن فالرضا والغضب الذي أشار إليهما النبي صلى الله عليه وآله في حديثه لا بد أن يكونا تابعين لإرادة الله تعالى، في حين أنهما متبوعان بمعنى اطلاعها العلمي بإرادات الله تعالى ورضاه وموارد غضبه، مما يؤكد على وجود العلم اللدني لدى فاطمة عليها السلام؛ للملازمة بين هذا العلم وبين الإطلاع على كل الجزئيات التي لا يتم الإطلاع عليها بدقائقها وأسرارها وغوامضها إلا بالعلم اللدني الذي يخص الله به أوليائه وحججه المقربين، التي أظهر مصاديقها وأتمها فاطمة الزهراء عليها السلام.

المقام السادس

مباهاة الله عزّ وجلّ بفاطمة سلام الله عليهما

لرسوله الأمين طس الله عليه وآله

احتلّت سورة الكوثر مساحةً واسعةً من المرتكز الإسلامي الذي يؤكّد على أنّ المقصود من الكوثر هو فاطمة عليها السلام. فإنّ سياق الآية يكون في مقابل الشانيء الذي هو أبتّر لا ذرية له، بخلاف النبي صلى الله عليه وآله فإنّ له الكوثر أي الذرية الكثيرة، وهي فاطمة عليها السلام ذريتها. والمقابلة إنّما هي في كثرة الذرية، وإلا لا اختلّت المقابلة، ولا يرد الإثبات والنفي على شيء واحد.

وهذا لا ينافي تأويل الكوثر بأنه نهر في القيامة يُسقي به النبي صلى الله عليه وآله أمته؛ لأنّ الكلام في مورد نزول الآية، وقد ذهب إلى ذلك الفريقان.

والعلامة الطبرسي في جوامع الجامع في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال: هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهر ذلك في نسله من ولد فاطمة عليها السلام؛ إذ لا ينحصر عددهم، ويتصل بحمد الله إلى آخر الدهر عددهم، وهذا يطابق ما ورد في سبب نزول السورة وهو أنّ العاص بن وائل السهمي سمّاه الأبتّر لما توفي ابنه عبدالله وقالت قريش: إنّ محمّداً صلبور فيكون تنفيساً عن النبي صلى الله عليه وآله ما وجد في نفسه الكبيرة من جهة فعالهم وهدماً لمحالهم.^(١)

وقد ذهب إلى ذلك الفخر الرازي بقوله: الكوثر أولاده صلى الله عليه وآله؛ لأنّ هذه السورة نزلت ردّاً على من عابه بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلًا يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قُتل من

أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يُعَبَأُ به. ^(١)

وبالفعل فإنَّ الإحصائيات تشير الى أنَّ سدس سكَّان المغرب العربي مثلاً هم من بني فاطمة عليها السلام من السادة الحسينيين؛ أي بنسبة خمسة ملايين من مجموع ثلاثين مليوناً.

وهذا أظهر مصاديق الكوثر المشار إليه في الآية الكريمة، إذ ذلك العطاء كان بمقتضى- شكره عليه السلام لربه وإقامة الصلاة والدعاء والثناء عليه تعالى، ولا يخفى ارتباط حقيقة النهر المسمّى بالكوثر بها سلام الله عليها، لأنَّ بين التأويل والظاهر دوام ارتباط.

ولا يخفى أنَّ المباهاة بها عليها السلام من قبل الله تعالى لنبيه عليه السلام على عدوّه، يعطي دلالات لحجّيتها، إذ الآية في مقام بيان كرامة النبي عليه السلام عند الله تعالى، وكرامته هذه مقرونة بحيازته عليه السلام لأفضل مخلوق وصفه الله تعالى بالكوثر - أي الخير الكثير - ولا تتمّ ذلك إلا بكون مورد المباهاة من الخير المطلق الكامل التام.

المقام السابع

خطبتها وعظيم حديثها

سلام الله عليها

لا تزال خطبة السيِّدة فاطمة عليها السلام ترنّ في أسماع الدهر وتتجدّد على مرّ العصور، مؤكّدة في الوقت نفسه جوانب شخصيتها الإلهية ومقامات معرفتها الربوبية، مشيرة إلى عظيم ما اطّلت عليه من مكنون علم الله عزّ وجلّ ومخزون معارفه، والتي لا يُظهرها الله إلا على خاصّة أوليائه وأهل صفوته وسدنة أسرارها، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. ولما كانت فاطمة عليها السلام أحد مصاديق أهل التطهير وأولي الذكر، فلا غرابة أن تفتق في خطبتها من بعض خزائن معارفه تعالى.

فهي مع ذكرها البالغ لتمام الحمد على نعمائه، وسوابغ الشكر على آلائه، والثناء لربوبيته، والتوحيد لصفاته، تسوّقُ البيانَ للتوحيد بما ليس معهوداً في الفلسفات البشرية آنذاك من اليونانية أو الفارسية أو الهندية، وتكشفُ الغطاءَ عن ظرائف التوحيد ما لم يُعهد في العرفان المتداول آنذاك.

فإنّ بيان معرفة التوحيد بنفي الصفات عنه - المشير إلى الغيب المطلق - وأن الصفات الإلهية تجليات أسمائية دون مقام غيب الغيوب، لم يُعهد قبل الإسلام، ولم يُيده القرآن الكريم ولم يكن في متناول أفهام المسلمين في الصدر الأول، ثمّ شرّعت في بيان سلسلة الصوادر عنه تعالى وكيفية الصدور واختلاف النشآت بما هو غير معهود في المعارف البشرية آنذاك؛ الفلسفية والعرفانية مما قد تعرّضتُ إليه إشارات القرآن الخفية التي لم تنلها أفهام المسلمين

حينذاك.

ثم بيّنت ضرورة الشرع والشرعية، وبيّنت مقامات النبي صلى الله عليه وآله في النشآت السابقة والتعينات الخلفية للأشياء بحسب العوالم المتعاقبة وهذه من المعارف التي لم يُبَحَّ بها قبل ذلك.

ثم بيّنت فصول علوم القرآن وجوامع أبوابه، فأخذت في بيان علل وحكم الأركان وأحكام الدين، مما لم تنله الأذهان قبل ذلك.

ثم بيّنت بمجمل سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسننه وعظم ما عاناه في دعوته ورسالته، وما كابده أخاه ووزيره وابن عمه ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأتمها صلوات الله عليهما شيّدا صرح الدين والدولة والنظام في الإسلام.

ثم أخذت في تحليل الفتنة التي مُني بها المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله سياسياً واجتماعياً، وما سيؤول إليه حالهم لاغتصابهم الخلافة.

كل ذلك ببيان جزل وألفاظ منمقة وتناسق أنيق تستجيب العبارات لها وتنصاع المعاني لمراداتها والحقائق التي أبرزتها، وكلّ هذه المعارف مما لم تكن متداولةً بين المسلمين، لعدم وروده فيما صدر من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله للعامة.

فمجمل ذلك أنه برهان على صدوره من علمٍ لديّ، ونُضح من عين ربّانية.

وبعبارة أخرى: تسوق البيان لمقام النبوة ومعدن الرسالة وفضلها الذي لا يحصى؛ إذ به أخرج الله الناس من ظلمات الجهل إلى نور الهداية، وطهرهم من دنس الشرك فأنازلهم الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وآله ظلّم عبادة الأوثان وفرّج عن القلوب بهمّهما، وجلى عن الأبصار غمّهما، بعد أن

كان الناس على شفا حفرة من النار، يشربون الطَّرَقَ ويقتاتون الورق، أدلةً خاسئين، يخافون أن يتخطفَهُمُ الناسُ من حولهم، وتهوي بهم عواصف الشرك من مكان سحيق. وبعد أن عرَّفْتَهُمُ بعض مقام أبيها ﷺ عند الله تعالى وأظهرت فضلَه وبيَّنت برهانه، وأوضحت حجَّته، وأعلَّمتَهُمُ معالم دينهم، وأركان فرائضهم وبيانَ حكمة كلِّ ركنٍ؛ أصولها وفروعها، فحلَّقت بهم إلى كلِّ معرفة ربوبية، وأخذت بهم عند كلِّ سبيل. فعرَّفْتَهُمُ تكليف كلِّ قضية في دينهم ودنياهم، فكأنما كانت تُفرِّغُ عن لسان أبيها حكمة ومعرفة، فصاحة وبياناً، حتى كانت أول خطبة بعد رسول الله ﷺ تُلقَى عليهم الحجَّة، وتندرهم بعاقبة أمرهم إذا ما هم أقاموا على غيِّهم وغوايتهم وباطلهم، يرون تراث رسول الله ﷺ قد تناهته الأهواء وهم قابعون، لا يدفعون يد لأمس، ولا يتناهون عن باطل، ولا يأمرن بمعروف ولا ينهون عن منكر.

وليس هذا إلا عن علم إلهي لدي لا يناله إلا حجَّة، ولا يجوزه إلا كلُّ مقرب مطهر.

فاستطاعت فاطمة (عليها السلام) في خطبتها أن تؤكد على أمور:

أولاً: إنَّ خطبتها كانت أول خطبة بعد خُطْب رسول الله ﷺ تُسجَّلُها محافل المسلمين في

ذاكرتها يومئ إلى اهتمام المسلمين بمقامها وحجيتها البالغة في مرتكزاتهم.

ثانياً: تُعدُّ خطبة فاطمة (عليها السلام) إحدى الملاحم التوحيدية التي تذكر فيها ثناء الله تعالى

ووحدانته وتشير إلى نبوة محمد ﷺ وأثرها في حياة المسلمين، وتستعرض أركان الدين وما

يقابلها من حكمة التشريع، وتثير تساؤلاتها بعد ذلك عن مشروعية البيعة المأخوذة تحت

عنوان السقيفة ومدى صلاحية هذه البيعة المدَّعاة مما تؤدِّي بكثير من مدَّعات القوم

وتعاجل مشاريعهم.

ثالثاً: حاولت السيِّدةُ فاطمةُ عليها السلام في خطبتها تعريةَ كلِّ مشروعٍ يُصاغ على النهج السياسي السقيفي مستقبلاً، وحصَّنتُ من خلال ذلك الصيغةَ الإسلامية المحمَّدية في نظام الحكم لئلا تختلط الأوراق وتتشابك الدعاوي.

وكانت تنطلق في دعوتها لهم من موقعيتها في نفوسهم ومقامها لديهم الذي قد بناه القرآن النازل في حقِّها وتأكيدات النبيِّ بمقامها وفضلها، والحجِّية في جميع ما تلقَّيه من حِكم ومواعظ ونصائح وأحكام، ثم تحليل القضايا التي واجهت الأمة وستواجهها مستقبلاً، مما يحفظ لخطبتها البليغة مكانة الحجِّية في مرتكزات المسلمين فضلاً عن حجيتها الثابتة بالدليل القرآني والسنة النبوية.

رابعاً: الملاحم المستقبلية التي أنبئت المسلمين بها من تفشِّي- الفتنة فيهم والظلم والفرقة، حيث قالت:

«أما لعمرى لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً، وذعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبَّ ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً، واطمأنوا للفتنة جأشاً.

وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرجٍ شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً»^(١).

وقد وقع ما أخبرت به إلى حيث نرى ما يجري اليوم من ذلِّ المسلمين على كثرتهم الكاثرة

١. بحار الأنوار ٤٣/ ١٠٩ و ١٦١ (تاريخ سيِّدة النساء فاطمة الزهراء، الباب ٧: باب ما وقع عليها من الظلم).

أمام فئة اليهود القليلة، وهم لا يدفعون يد لأمس، فعاد جمعهم حصيداً، وفيئهم زهيداً،
فبئس ما أسسه الأولون من نظام حُكمٍ جرَّ المسلمين إلى ما هم عليه اليوم.

المقام الثامن

حجبة الصديقة سلام الله عليهما

في مقام الدفاع عن

صديق الأمة، أمير المؤمنين عليه السلام

شهدت الساعات الأولى من رحيل النبي الأكرم ﷺ صراعاً عنيفاً بين أجنحة التيارات الطامحة في الحكم، ولم تمرّ وقت قليل حتى تمت تصفية حسابات توزعت من خلالها مناصب الحكم لتتفق بعد ذلك على إقصاء الشرعية الإلهية المتمثلة في الإمام عليّ عليه السلام.

ولم تكن هذه المراحل القاسية التي مرّت على الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام باليسيرة، بل صاحبته محاولات إرغام على البيعة عانى الإمام وأصحابه الأبرار منها شتى الضغوط النفسية التي من خلالها حاولت مجموعة السقيفة إلى أخذ إقرار ولو صوريّ على تأييد محاولات البيعة المدّعاة ليكون الأمر بعد ذلك ممرراً تحت غطاء الشرعية.

هكذا حاولت السقيفة إقناع عامّة المسلمين، إلا أنّ ذلك لم يتمّ مع وجود فاطمة الزهراء عليها السلام وهي تتصدى لمحاولات الإرغام على البيعة التي تُطال عليها عليها وأصحابه؛ وذلك لما تتمتع به فاطمة عليها السلام من مقام الحجية المرتكز في نفوس المسلمين، إذ لازالت ذاكرة المسلمين تسجّل ما كان رسول الله ﷺ يؤكده في فاطمة عليها السلام من مقام شامخ وذكر عظيم.

عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من تفسير الثعلبي بإسناده عن مجاهد، قال:

«خرج رسول الله ﷺ وقد أخذ بيد فاطمة وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد

أذاني، ومن أذاني فقد أذى الله»^(١).

وعن جابر بن عبد الله، قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن فاطمة شعرة مني، فمن أذى شعرة مني فقد أذاني، ومن أذاني

فقد أذى الله، ومن أذى الله لعنه الله ملء السموات والأرض»^(٢).

وقد فهم المسلمون أن اقتران أذى فاطمة عليها السلام بأذى رسول الله صلى الله عليه وآله وبالتالي بأذى الله تعالى الموجب للجنة والعذاب الأليم، لا يتم إلا لمن كان له مقام الحجية الإلهية، وإلا لا يمكن أن يتم قوله صلى الله عليه وآله أن أذى فاطمة عليها السلام يعني أذاه الذي هو أذى الله تعالى.

فإن ذلك دليل الحجية التي تتمتع بها فاطمة من بين المسلمين، لذا فلا يكون دخولها عليها السلام وسط الأحداث الملتهبة إلا إخماداً لتلك النائرة التي أجاجتها طموحات القوم وأمانيتهم مما أدى إلى إرباك خططهم وتداعي كل محاولة خارجة عن نطاق الشرعية.

فقد روى ابن أبي الحديد عن أستاذه النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري حين تساءل عن كلام أبي بكر بعد خطبة فاطمة عليها السلام وتعريضه لعليّ فقال: إنه الملك يا بني.

قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم^(٣).

والرواية التالية ستشهد مدى تأثير الموقف الفاطمي في إرباك محاولات القوم لما ارتكز عند القوم من حجية فاطمة عليها السلام فضلاً عما هو مرتكز لدى المسلمين وقتذاك من النصوص القرآنية على حجيتها وباقي الأحاديث النبوية حول مقام الزهراء من قبيل (أنها سيدة نساء

١. عوالم العلوم / ١ / ١٤٨، الرقم ٢٠ (أحوال سيدة النساء، الباب ٥: باب أن أذى فاطمة أذى الله وأذى الرسول).

٢. عوالم العلوم / ١ / ١٤٩، الرقم ٢١ (نفس الأبواب).

٣. شرح نهج البلاغة / ١٦ / ٢١٥.

أهل الجنة) الذي قد روي في الصحاح وغير ذلك فكيف بمن تكون سيّدة نساء أهل الجنة لا تبايع إمام زمانها وتموت ميتة جاهلية؟ مع أنّه سمعوا النبيّ ﷺ أنّه قال: «من مات ولم يعرف أو لم يبايع إمام زمانه مات ميتة جاهلية» مما يدلل موقف فاطمة عليها السلام لهم أنّ أبي بكر لم يكن صاحب البيعة الشرعية ولا الإمام الذي يبايع فقد كانت بيعة الزهراء عليها السلام لعليّ عليه السلام.

ويدل على مثل ذلك ما رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: أنّ عمر قال لأبي بكر: إنطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها. فلما قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط. فسلمّا عليها، فلم تردّ عليهما. فتكلم أبو بكر، فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وأنتك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله؟ إلا أنّي سمعتُ أباك رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة».

فقالت: أرأيتمكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا: نعم.
فقالت: «نشدتكم الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني» قالوا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ.

قالت: «فإنّي أشهد الله وملائكته أنكم أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونكم إليه».

فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثم انتحب أبو بكر

يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: «والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها» ثم خرج باكياً فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: بيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي.^(١)

هذا ما أحدثه موقف فاطمة (ع) إذ لو لم يكن لموقف فاطمة (ع) الحجية كما هو مرتكز عند المسلمين لما طلب الشيخان الاعتذار منها، وقد ذكرتهم بحجيتها فأقر لها ذلك عند قولها: «ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي...» فشهدا لها بذلك وأقرا منزلتها وصدقا حجيتها.

وعدم رضاها عنهما دفع أبا بكر إلى البكاء مما ضاق منه لعدم رضا فاطمة (ع)، ولو لم يكن لها ذلك المقام الشامخ عند المسلمين لما كانت حاجة ملحة في الاعتذار والإستشفاع لنيل رضاها فيدل على أنهم كانوا يعلمون أن رضاها رضى الله، ولما أيقنا سخطها تبادر لها أن سخطها سخط الله، لذا فقد استنجد أبو بكر بالمسلمين لإقالته بيعته وإقراره أن سخط فاطمة (ع) يلغي شرعية نظامه من الأساس.

فإن موقف فاطمة (ع) ترك أثراً مهماً في مجريات الأحداث، إذ دفع بالقيادة إلى الإرتداع ولو مؤقتاً عن مواقف الإبتزاز التي استعملت مع علي (ع) لأخذ البيعة قهراً.

ومن أجل هذا قيل لأبي بكر: يا خليفة رسول الله ﷺ، إن هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنه إن كان هذا لم يقم لله دين. فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه ما بت العروة ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعدما سمعتُ ورأيتُ من فاطمة.

قال ابن قتيبة: فلم يبائع عليّ كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها.^(١) مما يعني أنّ القيادة كانت متوجسة من إثارة غضب فاطمة عليها السلام بالإصرار على مبايعة عليّ عليه السلام لهم، فكانت تتحسب لمقام فاطمة عليها السلام حسابها، متيقنةً مدى خطورة حجّيتها في حسم الأحداث وتوجيه المواقف إذا هم تبادوا في مضايقة عليّ عليه السلام والتشديد عليه لأخذ البيعة بعد ذلك. ولا ننسى ما اتخذته الخليفة الأول من موقف المهادن طالما دخلت فاطمة عليها السلام في صلب الأحداث، ومن تأجيله مطالبته لعليّ بالبيعة مادامت فاطمة عليها السلام إلى جنبه.

قال عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه.^(٢) والذي نريد التأكيد عليه: أنّ حجّة فاطمة عليها السلام كان لها الأثر الكبير في إثبات حق عليّ عليه السلام والذي يعني من خلال ذلك إثبات إمامته التي هي فرع النبوة وكمال الدعوة، ولما كان الحال كذلك فإنّ دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله ورسالته توقفت على موقف فاطمة عليها السلام ودفاعها بما تملكه من حجّة إلهية بقاءً ودواماً.

وهذا الموقف الحاسم للأحداث من قبل فاطمة عليها السلام كان بياناً لتعيين من يستحقّ الحاكميّة الشرعيّة، وكشفاً لمحاولات تزييف الحقائق؛ إذ بموقفها هذا حفظ للإسلام وجهه الناصع، واحتفظ التاريخ بوقائع هذه الأحداث.

وكيف كان، فإنّ لموقفها عليها السلام دوراً في فضح المخالفات الشرعية والقانونية من أجل التوصل إلى طموحات شخصية، وبالمقابل كان ذلك تعريفاً لحقوق أهل البيت عليهم السلام المغتصبة؛ إذ بعد هذا الموقف الفاطمي أمكن تعميم أحكامه على أيّ وجود حاكمي يخرج

١. الإمامة والسياسة، باب (كيف كانت بيعة عليّ بن أبي طالب) ج ١، ص ١٤.

٢. المصدر السابق / ١٦.

عن نطاق شرعية أهل البيت عليهم السلام مما يعني أن موقف الزهراء عليها السلام كان خزيناً من الشرعية الإلهية يستخدمه أهل البيت عليهم السلام ضد أعدائهم.

فوقفها هذه بمثابة وثيقة تكشف خروقات أي نظام حاكم مستقبلاً حتى صار موقفها راسماً لمسار شرعية الخلافة وفاضلاً بينها وبين أي نظام مدعي.

ولذا عمد بعض المؤرخين إلى تشويش وقائع الأحداث وإلغاء المواقف الفاطمية الفاصلة، بل جرّ بعضهم إلى إنكار بعض هذه المواقف الفاطمية لكيلا يرضخ لمعطياته ولوازمه الشرعية التي تقضي - بإلغاء شرعية حكومة الشيخين، وما ذلك إلا لإقرارهم بحجّة فاطمة عليها السلام ومقامها الإلهي، فكيف تثبت بعد تعريتها لمواقف القوم حجّة شرعية أو قانونية مدعاة؟

وبعبارة أخرى: إن موقفها من الغاصبين للخلافة واحتجاج علي عليه السلام بها في مواجهتهم يدلل على مدى حجّيتها ومقامها في نفوس المسلمين وفي دين الإسلام، حيث لم ينفع فيهم ما قد سمعوه من أقوال النبي صلى الله عليه وآله وقرأوه من آيات الكتاب وما شاهدوه من معاجز علي في الحروب، فبقيت محاجّتهم بها عليها السلام مما يدلل على تسليم المسلمين بأنها حجّة في الشرع.

ومن ثم دأب الأول والثاني وكثير من الصحابة على ثنيها عن السخط عليهم وعن تبريها منهم وعن مقاطعتها لهم، وألحوا في استرضائها ولم يفلحوا، ومن ثم دأب علماء العامة على إنكار مواجهتها لأهل السقيفة ومقاطعتها لهم مما يدلل على تسليمهم لحجّة فعلها في الدين، فإنهم يخشون من سلب الشرعية عن خصومها.

المقام التاسع

إشتراكها مع أهل البيت عليهم السلام

في الآيات النازلة فيهم

اشتركت السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام مع أهل البيت عليهم السلام بما نزل فيهم من آيات، وكان ذلك إشتراك حجّية وشمول منزلة ولزوم طاعة لولايتها عليها السلام فضلاً عما ورد من أحاديث نبوية تشير إلى منزلة أهل البيت عليهم السلام وتؤكد في الوقت نفسه حجّيتهم، وكان لفاطمة عليها السلام إشتراكها مع أهل البيت عليهم السلام كذلك.

واستعراض موجز لبعض ما نزل من الآيات في أهل البيت عليهم السلام يمكن أن يكون أحد الشواهد على حجّيتها عليها السلام.

منها: قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).

وقوله تعالى ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٢).

وقوله تعالى ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٣).

روى السيوطي في إحياء الميت بفضائل أهل البيت عليهم السلام:

<قالوا يا رسول الله، من قرابتك؟ هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟

قال صلى الله عليه وآله: عليّ وفاطمة وولداهما^(٤).

والمتمعّن في هذه الآيات وغيرها ليجد لسان المودّة هي ولايتهم عليهم السلام. فالحثّ على

١. الشورى / ٢٣.

٢. سبأ / ٤٧.

٣. الفرقان / ٥٧.

٤. إحياء الميت بفضائل أهل البيت عليهم السلام / ٨، الحديث الثاني (والكتاب قد احتوى على ستين حديثاً في فضائل أهل البيت عليهم السلام).

مودّتهم هو أجر الرسالة بمجموعها، فالنبي صلى الله عليه وآله لرسالته مع جميع أتباعه، لم يسألهم مالاً ولا ضياعاً بل سألهم التمسك بمودّتهم وحبّهم.

وإذا كان الأجر يعني التساوي بين متبادلين - إذ لا يصحّ أن يكون أحد البدلين أقلّ من الآخر، لئلا يتحقق غبن لا يرتضيه العقلاء - فكذلك أجر ما طلبه صلى الله عليه وآله منهم قبالة دعوته هذه وهي مودّة أهل بيته عليهم السلام فلا يصحّ أن تكون مودّتهم أقلّ من رسالته لئلا يكون غبناً وتفريطاً لحقّ رسالته وهو ما لا يرتضيه أحد يخشى الله ورسوله واليوم الآخر، وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ مودّتهم عليهم السلام عدل الدين وثمره الرسالة.

وبيان آخر: إنّ الرسالة بما قد اشتملت على التوحيد والتصديق بالنبوة والمعاد وبقية الحقائق الحقّة وأركان الدين، ولا يتصور أن يكون شيئاً عدلاً لها إلا أن يكون على درجة من الخطورة والمنزلة بحيث لا يقبل الإيمان بتلك العقائد والعمل بتلك الأركان إلا به. فلا يمكن أن يكون ذلك حكماً فرعياً من ذيول بعض فروع الدين، ويكون شرطاً في أعظم أصول الدين، بل الشرطية والعدلية تقتضي بالبداهة كون منزلة الأمر في درجة الأمور الاعتقادية بل من أصولها، بمقتضى التناسب بين الشرط والمشرط، وبين العدل وعدله الآخر.

ومن ثمّ سوف لا يكون المراد من المودّة - والتي تختلف لغة عن المحبة بزيادة شدّة الوطأة - إلا فعلاً من الأفعال القلبية الاعتقادية وهي الولاية والتويّي من تلك الجماعة المرادة من «القربى».

ومقتضى ذلك أيضاً أن لا تكون تلك المجموعة أو الثلّة إلا معصومة مطهّرة؛ إذ لا يعقل

أن تكون المودّة والتويّي والإعتقاد بشخص أو جماعة مخالطين للذنوب أو الجهل هي من أصول الدين، وعدل للتوحيد والعقائد الحقّة.

ومن ثمّ جعلت هذه المودّة هي السبيل إلى الله والمسلك إلى رضوانه، وجُعِلت في آية ثالثة فائدتها راجعة إلى المكلفين أنفسهم، أي: أن هذا الأجر ليس من سنخ أجور النشأة الدنيوية والإنتفاعات المادية، بل ثمرته هو الإهتداء والرشاد بتويّي ذوي القربى، كما هو مفاد حديث الثقلين «ما إن تمسكتم بهما فلن تضلّوا بعدي أبداً».

وما أشدّ مطابقة آية المودّة مع حديث الثقلين، بل إنّ الآية المزبورة هي من متون حديث الثقلين وسنده القرآني، فما قد ورد في جميع الأنبياء من قولهم ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾، لا يغيّر ما أمر الله تعالى به نبيّ الإسلام من طلب الأجر؛ إذ إنّ هذا الأجر ليس عوضاً مالياً، وإنّما هو إكمال للدين وإتمام للنعمة على المسلمين ورضى الربّ بذلك، ولا يتمّ الرضا إلا باستيفاء الأجر العائد نفعه للمسلمين لا له ﷺ ولأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

وهذا المفاد قد ورد بعينه في الآيات النازلة في الحثّ على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث جعل عدم تبليغ ولايته مساوٍ لعدم تبليغ الرسالة، ممّا يقتضي- أنّ ولايته هي عدل الدين وثمرّة الرسالة وتمام نعمة الإيثار ورضى الربّ بالإسلام ديناً فبدونها لم يرتضِ تعالى توحيد العباد به ولا تصديقهم بنبيّه وبالיום الآخر ما لم يوالوا وليّه، كما لا يكمل توحيد الناس وإقرارهم بالبعثة والمعاد إلا بولاية وليّه تعالى، كما لا تتمّ لهم نعمة الإيثار لهم إلا بذلك.

فليتدبر الناظر وفاق هذه الآيات بعضها بعضاً مع حديث الثقلين ليتجلّى له وحدة

المضمون كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(١) فلما بلغ في عليّ ولايته وإمامته نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢) وهو تصريح بأن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام تعني كمال الدين وتمام الايمان وعدل الرسالة.

كما أنّ المودّة تُعطي مفهوم الولاية أيضاً، فلا ولاية دون مودّة؛ فإنّ مفهومي الولاية والمودّة تعنيان تمام الدين كلّهُ، وبتلك الدرجة وجبت ولايتهم ومودّتهم وقدّمنا أنّ آيات المودّة كانت تشترك فيها فاطمة عليها السلام مع أهل البيت الذين نزلت فيهم والتي هي أسبق في صدق العنوان، وبما أنّ مودّتها واجبة فإنّ ولايتها واجبة بالتقريب المتقدّم بين مفهومي المودّة والولاية.

وبذلك تثبت وجوب ولاية فاطمة عليها السلام ومودّتها لنفس الغرض. وبمقتضى- أنّها عليها السلام من العترة- كما في آية التطهير والمودّة وغيرهما- فهي من الثقل الثاني وعدل القرآن الكريم الواجب على الأمة التمسك به. فالتمسك بها شرط الهداية والأمان من الغواية والضلالة. ولا يخفى أنّ مقتضى حديث الثقلين عصمة العترة وحجّيتهم وإحاطتهم بالكتاب كلّهُ، وأنّهم القيمون على تفسير كتاب الله وبيان دلالته، كما أنّهم شاهدون على أعمال العباد وداخلون في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) لما تقدّم من أنّها من عباد الله كما في سورة الدّهر الذين لهم مقام الإشراف على الأبرار، فهم المقرّبون

١. المائدة/ ٦٧.

٢. المائدة/ ٣.

٣. التوبة/ ١٠٥.

الذين يشهدون كتاب الأبرار في عليين كما في سورة المطففين.

كما أنها الوسيلة والسبيل إلى الله تعالى لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ فهي الوسيلة والسبيل إلى الله والمسلك إلى رضوانه.

كما أنها المصطفاة لورثة كتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾^(١) حيث أن المورث المصطفى لكتاب الله هو السابق بالخيرات لما تقدم من أن المطهر هو الذي يمس الكتاب كما في سورة الواقعة.

ومن ثم هي ﴿التي﴾ من الذين أوتوا العلم الذين في صدورهم الكتاب آيات بينات كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٢) وهي كلمات الله التامات وأسماءه الحسنى التي إليها الإشارة في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٥) وقوله تعالى في ابراهيم: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٦) إذ هي من الأنوار الخمسة التي تعلم آدم

١. فاطر/ ٣٢.

٢. العنكبوت/ ٤٩.

٣. البقرة/ ٣٧.

٤. البقرة/ ١٢٤.

٥. الأنعام/ ١١٥.

٦. الزخرف/ ٢٨.

أسمائها، وبمعرفتها تأهل آدم لمقام خلافة الله في أرضه والتي أشير إليها باسم الإشارة العاقل في سورة البقرة، وضمير الجمع العاقل كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾^(١) وبهذا التنبيه والإشارة يتفطن اللبيب إلى اشتراكها عليها السلام مع أهل البيت بل سائر ما ثبت لهم من منازل ومراتب ومقامات قرآنية.

المقام العاشر

ولايتهما سلام الله عليهما في الأمور العامة

إنَّ لسيدتنا فاطمة عليها السلام ولايةً شاملةً ومالكية التصرف في كلِّ الأرض بمقتضى آية الأنفال والفِيء والخمس؛ وذلك لدخولها في عنوان ذوي القربى، بل هي أول من يصدق عليها هذا العنوان، فلم يكن أحد أولى بالنبيِّ منها عليها السلام، فتدخل في ذوي القربى اللّازم مودّتهم أي: ولايتهم التي تعني ولايتها عليها السلام أيضاً.

وتلك الولاية عامّة شاملة لكون إدارة الأموال العامّة تحت نظرها، مع أنّها عليها السلام ليست بإمام تستقلُّ في تلك الولاية، بل بالمشاركة مع النبيِّ والإمام بنحو طولي وقد تواترت روايات الفريقين على أنّ قوله تعالى ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ﴾^(١) نزل فيها عليها السلام.

كما أنّ دخولها عليها السلام وأسبقية رتبها في عنوان (ذوي القربى) مقتضى لكونها وارثة روحية لمقامات النبيِّ عليه السلام كما هي وارثة بدنية له عليه السلام، أي: تكويناً وتشريةً، والأول بلحاظ الكمالات المعنويّة والمقامات الملكوتية، والثاني بلحاظ المناصب والشؤون الاعتبارية إلا ما خصّصه الدليل كالإمامة.

وقد وردت الإشارة إلى هذه الورثة في زيارة الحسين عليه السلام يوم عرفة ما نصّه: «السلام عليك يا وارث فاطمة الزهراء»^(٢) وفي زيارة مطلقة له عليه السلام كذلك،^(٣) كما ورد في زيارة الإمام

١. الإسرائيليات / ٢٦.

٢. مصباح الزائر لابن طاووس / ٣٤٨ * المزار للشيخ المفيد / ٨٦ * الشهيد في مزاره / ١٧٠ * وابن المشهدي في مزاره / ٦٦٧ * وابن طاووس في الإقبال / ٣٣٢ * والمجلسي في البحار / ١٠١ / ٣٦٥.

٣. كامل الزيارات لابن قولويه / ٣٧٦ * والبحار / ١٠١ / ٦٣ * مصباح الزائر لابن طاووس / ١٣٤ * وكذلك في مزار التهذيب للشيخ

علي بن موسى الرضا عليه السلام ما نصّه: «السلام عليك يا وارث فاطمة الزهراء»^(١) مما يدل على وقوعها في سلسلة الوراثة النورية للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ومجمل مقاماتهم.

ففي المقام جهات:

الجهة الاولى: ولايتها في الأموال العامة

إن إدارة الأموال العامة هو من منصب ذوي القربى، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ * ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم^(٢).

وكذا قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ

الطوسي.

١. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٦٠٤ * كامل الزيارات لابن قولويه / ٥١٨.

٢. الحشر/ ٦-٧.

٣. الأنفال / ١.

التَّقَى الْجُمُعَانَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾.

ومن المقرّر والمحّرّر في محله كون الأنفال هي الفيء بعينه، وقد جعلت ولايته وملكيته التصرف فيه لله وللرسول ولذي القربى. والأنفال والفيء - كما هو محرر في الفقه - عموم المنابع والثروات الطبيعية في بلاد المسلمين، وهي كلّ أرض جلى عنها أهلها أو سلّموها طوعاً بغير قتال أو كانت خربة باد أهلها وكلّ ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ورؤوس الجبال وبطن الأودية والآجام والموات التي لا أرباب لها والمعادن وصفايا الملك وقطائعهم وما يصطفى من الغنيمة في الحرب، وميراث من لا وارث له، والغنائم في القتال بغير إذن الإمام.

وكذا الحال في ضريبة الخمس سواء في ذلك: غنائم الحرب أو مطلق ما يغنمه الإنسان في كسبه من أرباح التجارات والصناعات وغيرها. وكذلك ما يستخرج من معادن وكنوز وما يستخرج بالغوص، والمال المختلط بالحرام لأجل تطهيره وأرض الذمي إذا اشتراها من مسلم. وقد جبي رسول الله ﷺ الخمس من المسلمين من أرباح مكاسبهم كما دلّت على ذلك

مصادر الفريقيين.^(١) وضرورة الخمس من أكبر الضرائب المقننة في الشريعة الإسلامية، فهي تفوق الزكاة.

ومن المقرر في الفقه أن ولاية الخمس وملكية التصرف فيه هي لله وللرسول ولذي القربى وذلك لمكان اللام - لام الملكية - في الآيات ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وهذه بخلاف الموارد الثلاثة الأخرى وهي: ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ مما يدل على أن الأخيرة مصرف - أي مورد للصرف - من دون أن يكون ملكاً لهم ولا ولايته راجعة إليهم،

١. كما هو الحال في أخذه من قبيلة عبد قيس، حيث قال لهم عليه السلام «وتعطوا الخمس من المغنم» صحيح البخاري ١/٢٢-٣٢-١٣٩ و ١٣١/٢ و ٢٠٥/٤ و ٢١٣/٥، و ١١٢/٩ * وكذلك صحيح مسلم/ ٣٥-٣٦ * سنن النسائي، الرقم المسلسل للحديث ٥٠٤٦ (كتاب الإيمان وشرائعه، الباب (٢٥): باب أداء الخمس، الحديث (١) * مسند أحمد ١/٢٢٨، ٣٦١، ٣/٣، ٣١٨، ٥/٣٦ * سنن أبي داود ٣/٣٣٠، ٤/٢١٩ * سنن الترمذي، باب الإيمان * الأموال لأبي عبيدة/ ٢٠ * فتح الباري ١/١٢٠ * كنز العمال ١/١٩ - ٢٠، الحديث ٦ * الصحيح من سيرة النبي عليه السلام للسيد جعفر مرتضى العاملي ٣/٣٨٠.

وكذا أخذ النبي عليه السلام من بني زهير العكليين من مضر - في سنة الوفود (٩هـ) كما في الطبقات قال: وأقرّوا في الخمس في غنائمهم. الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٧٩ * كنز العمال ٢/٢٧١ * سنن أبي داود في كتاب الخراج ٢/٥٥ * سنن البيهقي ٦/٣٠٣، ٧/٥٨، ٩/١٣ * مسند أحمد ٥/٧٧، ٧٨، ٣٨٣ * الأموال لأبي عبيدة/ ١٢ * أسد الغابة ٥/٤٠ و ٣٨٩ * جهرة أنساب العرب ١/٦٨ * صح الأعمش ٣/٣٢٣ * الأغاني ١٩/١٥٨ * نصب الراية للزيعلبي/ ٥ * سنن النسائي ٢/١٧٩.

وكذلك أخذ من وفد بني البكاء من بني عامر من العدنانية من رئيسهم فجع بن عبد الله كما في الطبقات لابن سعد قال: قال رسول الله عليه السلام: من أسلم وأقام الصلاة وأتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغنم خمس الله.. الطبقات لابن سعد ١/٢٧٤ * أسد الغابة ٤/١٧٥ * والإصابة ٤/٦٩٦.

وأيضاً أخذ من أهل اليمن كما في فتوح البلدان قال: كتب النبي عليه السلام لعمر بن حزم حين بعثه لليمن: أن يأخذ من المغنم خمس الله وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقى البعض. فتوح البلدان ١/٨٤ باب اليمن * سيرة ابن هشام ٤/٥٩٥ * تاريخ الطبری ١/١٧٢٧ * وتاريخ ابن كثير ٥/٧٦ * الخراج لأبي يوسف/ ٨٥ * الحاكم في المستدرک ١/٣٠٩-٣٩٦ * كنز العمال ٥: ٥١٧.

وفي تاريخ يعقوبي: (أن رسول الله عليه السلام أرسل كتاباً مع معاذ بن جبل إلى اليمن وفيها: وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي والصفي وما على المؤمنين من الصدقة.) تاريخ يعقوبي ٢: ٦٤ * فتوح البلدان/ ٨٣ * الطبقات الكبرى ١/٢٦١ * السيد جعفر مرتضى العاملي في الصحيح من سيرة النبي عليه السلام ٣/٣٠٨-٣١٢ * وكذا البحار ٢١/٣٦٠-٣٦٣ وغيرهم كثير.

وغيرها من الأدلة الدالة على ذلك كالروايات المستفيضة.

وقد علل تفويض ولاية الأموال العامة لذوي القربى في سورة الحشر - بأن الحكمة فيه هي إرساء العدالة الإقتصادية والمالية في المجتمع المسلم وإزالة الطبقة الفاحشة، فلا تكون الثروة عندئذ حكرًا متداولًا بين الأغنياء ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ وقد شددت سُورَتَا الحشر والأنفال على خطورة هذا المقام وأن اغتصابه يقابل بشدة العقاب من الله تعالى وبزوال الايمان لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وهذا ما قد حدث بعد غصب الخلافة، حيث أن باغتصاب هذا المقام بدأ التفاوت الطبقي في الأموال العامة حتى خصّصت بعض زوجات النبي ﷺ في العهد الأول وبعض رموز السقيفة بمعطيات من بيت المال دون سائر المؤمنين واستشري ذلك أكثر في عهد الثاني حيث فرّق في العطاء بين المهاجرين والأنصار^(١)، وبين العرب والعجم، وبين الأسود والأبيض وبلغ ذروته في عهد الثالث حتى ثار عليه المسلمون، كما هو معروف في مدونات التاريخ.

الجهة الثانية: المراد من ذوي القربى

إن المراد بذوي القربى في آيات الفية والخمس خصوصاً فئة معينة من ذوي القربى، أي الفئة التي تتصف بالعصمة عن الخطأ والجهل ولها مقام وشأن الحجية الإلهية لا كل ذوي القربى، ويشهد لذلك أمور:

الأول: إنه قد علل جعل ولاية الأموال العامة في آية الفية والأنفال بما تقدّم ذكره - في

الجهة الأولى - من إرساء العدالة الاجتماعية في التوزيع المالي وغيره من الأنشطة المالية، وبالتالي يتم تحقيق العدالة الاقتصادية، وينعدم الفارق الطبقي الفاحش فلا تكون هناك طبقات مسحوقة.

ومن الواضح أنّ هذه الغاية تحتاج إلى كفاءة ذات صفة علمية وعملية خاصّة، أي: الكفاءة العلمية يجب أن تبلغ درجة كفيلة بالإحاطة بالأمر، سواء من جهة موضوعات الأبواب المالية أو من جهة مجموعة القوانين الشرعية كما هي في اللوح المحفوظ، فلا يُعيقه عدم الإمام بأطوار الأنشطة المالية ومدى سلامتها وصحتها الشرعية - القانونية، كما لا يُعيقه الجهل بالطرق والحلول المالية المواكبة لتطورات مناخ الحياة الاجتماعية المستجدة، هذا من جانب.

ومن جانب آخر يجب أن تكون أمانته والصفة العملية فيه بدرجة يكون معصوماً عن اتباع الهوى أو العصبية فلا يُؤثر فتنّة على أخرى ولا يُخصّص فرص المال بفتنة دون أخرى، كما لا تحمله العصبية والغضب للإقدام على حرمان جماعة أو قوم دون آخرين، وهذا لا يتوفّر إلا في مَنْ عَصِمَ من ناحية العلم والعمل.

الثاني: إنّ مقتضى آية التطهير هو عصمة خصوص أصحاب الكساء من ذوي القربى دون غيرهم، ومقتضى المناسبة مع مقام الولاية على الأموال العامّة تخصيصها بالمطهرين دون غيرهم من ذوي القربى .

الثالث: إنّ مقتضى - عنوان القرابة الذي خصّص بهذا الشأن انطباقه على الأقرب فالأقرب بحسب القرب في الرحم، كما هو الحال في كلّ مورد تنتقل ولاية الشخص إلى

ولاية الأقرب فالأقرب والذي يليه.

الرابع: ما سيأتي في الجهة اللاحقة من تطبيق النبي ﷺ في روايات الفريقين عنوان القربى على فاطمة ؑ وكذا على أصحاب الكساء.

فتحصّل من الجهة الثانية: إرادة ذوي القربى المعصومين ؑ.

الجهة الثالثة: الزهراء ؑ أول من ينطبق عليها عنوان (ذوي القربى)

إنّ أوّل من ينطبق عليه عنوان (ذوي القربى) رتبةً هي الصديقة الزهراء صلوات الله عليها وذلك بمقتضى بنوّتها له ﷺ، فهي أقرب رحماً، ويشهد لذلك أيضاً ما نزل من قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ...﴾^(١) حيث دعا ﷺ فاطمة ؑ فأعطاهما فديكاً كما في روايات الفريقين.^(٢)

فيستتج من ذلك أنّ أوّل من يصدق عليه «ذوي القربى» في آية الأنفال وآية الخمس هي الصديقة فاطمة الزهراء ؑ، وبالتالي فهي ممن جعل لهم مقام الولاية في الأموال العامّة وإن لم تكن إماماً.

الجهة الرابعة: إذنها في الخمس والأنفال بمقتضى ولايتها ؑ

قد وردت في روايات متعدّدة أنّ أئمّة أهل البيت ؑ أباحوا الخمس والأنفال لشيعتهم وتحمل تلك الروايات على الموارد المخصوصة الثلاثة المتسلم عليها فتوى ونصاً. وقد تضمّنت تلك الروايات إذن الصديقة ؑ في ذلك بجانب إذن الرسول ﷺ وإذن الأمير

١. الإسراء / ٢٦.

٢. وسيأتي في الجهة الخامسة من هذا المقام ذكر مصادرها.

وإذن الحسين وباقي الأئمة عليهم السلام.

وهذا يؤكد على أنّ تدبير وولاية الأموال العامة كانت ثابتةً للصدّيقة الزهراء عليها السلام في حين ثبوتها للأئمة وإن لم تكن هي إماماً.

كما أنّ ذلك يشهد لعدم تنافي الروايات المستفيضة الدالة على تفسير ذوي القربى بالإمام مع صدق عنوان ذوي القربى عليها أيضاً في آيات الأنفال والخمس، مع أنّ في بعض روايات الخمس والأنفال تفسير ذوي القربى بالحجّة في زمانه، وهذا عنوان منطبق عليها. فمن هذه الروايات:

١ - رواية أحمد بن محمد المعتمدة في العديد من أحكام باب الخمس، في حديث قال عليه السلام:
«والذي للرسول هو لذوي القربى والحجّة في زمانه فالنصف له خاصّة»^(١).

٢ - ومن تلك الروايات صحيحة الفضيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ وَجَدَ بَرْدَ حُبِّنَا فِي كَبِدِهِ فَلِيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى أَوَّلِ النِّعَمِ».

قال: قلت: جعلت فداك، ما أول النعم؟

قال: طيب الولادة.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة عليها السلام: أحلّي نصيبك من الفيء لأبائنا شيعتنا ليطيبوا.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: إنا أحللنا أمهات شيعتنا لأبائهم ليطيبوا»^(٢).

١. وسائل الشيعة ٩/٥١٤، الرقم المسلسل للحديث ١٢٦٠٨ (كتاب الخمس، أبواب قسمة الخمس، الباب الأول: باب أنّه يقسم ستة أقسام، الحديث ٩).

٢. وسائل الشيعة ٩/٥٤٧، الرقم المسلسل للحديث ١٢٦٨٤ (كتاب الخمس، أبواب الأنفال، الباب الرابع: باب إباحة حصّة الإمام من الخمس).

٣ - وفي قوية عبدالله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: على كلّ امرئ غنم أو اكتسب، الخمس مما أصاب لفاطمة عليها السلام ولمن يلي أمرها من بعدها من ذريتها الحجج على الناس، فذاك لهم خاصّة، يضعونه حيث شاءوا، إذ حرم عليهم الصدقة»^(١).
ومحلّ الإستشهاد في هذه الرواية موضعان:
الأول: تصريحه عليه السلام بأنّ ذي القربى هي فاطمة عليها السلام.

الثاني: تخصيص ما لفاطمة عليها السلام من ولاية التصرف وملكية التدبير، بانتقاله إلى الحجج المعصومين من ذريتها دون باقي ذريتها، الدالّ على الوراثية في المناصب الإلهية أو الولاية في الأمور العامّة لا في الشؤون الفردية العادية التي يستوي فيها المعصوم مع غير المعصوم في الإرث، مما يعني أنّ لها هذا المقام والمنصب الإلهي والولاية في إدارة الأموال العامّة.
وبتعبير آخر: كما أنّ ولاية الله أو الرسول في الخمس باقية إلى يوم القيامة بمقتضى آية الخمس والأنفال والفيء كذلك الحال في ولاية الزهراء عليها السلام في الخمس والأنفال والفيء باقية دائماً في طول ولاية الله ورسوله، وأنّ غاية الأمر أنّ الأئمة من ذريتها ينوبون عنها فيما لها من ولاية.

على أنّ ولاية الرسول صلى الله عليه وآله قائمة بالفعل إلى يوم القيامة والمبلّغ عنه أو امره ونواهييه بعد

للشيعة... الحديث (١٠).

١. تهذيب الأحكام ٤/١٢٢، الرقم المسلسل للحديث ٣٤٨ (كتاب الزكاة، الباب ٣٥: باب الخمس والغنائم، الحديث ٥). بل معتبره بعبدالله بن القاسم الحضرمي وهو وإن رُمي بالوقف والغلو إلا أنّ العلامة نفى عنه الغلو. وروى عنه محمد بن الحسين بن أبي الخطاب بسند صحيح، وروى عنه أحمد بن محمد بن الظاهر من الشيخ في الفهرست إنّ الذي يروي عنه كتابه هو محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب الذي هو من الكبار الأجلّاء الكوفيين، مما يظهر اعتياده على كتابه. وقد اعتمده الصدوق أيضاً في المشيخة، بل اعتمد كتابه، وقد استظهر بعض الرجالين اتحاده مع عبد الله بن القاسم صاحب معاوية بن عمّار، وروى عنه غير واحد من الثقات. فلاحظ المعاجم الرجالية.

ارتحاله الشريف هو الإمام القائم الحَيِّ، وهذا أمر مرتكز عند كلِّ متشرع بدين الإسلام، نظير ما احتجَّ الإمام الحسين عليه السلام على ابن عباس في خروجه إلى العراق بأمر النبي صلى الله عليه وآله إياه في الرؤيا.

٤ - طائفة من الروايات العديدة التي فسّرت ذوي القربى بأهل البيت، وفاطمة عليها السلام منهم بمقتضى آية التطهير والنصوص المستفيضة والمتواترة فيها.^(١)

ونموذج من تلك الطائفة صحيحة أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وجدنا في كتاب علي عليه السلام ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض، ونحن المتّقون، والأرض كلّها لنا»^(٣) الحديث.

٥ - ما يأتي من الروايات في الجهة اللاحقة في قوله تعالى ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ أن المراد بذوي القربى أوّلهم فاطمة عليها السلام.

الجهة الخامسة: الآية تثبت كونها عليها السلام أبرز أفراد ذوي القربى

قوله تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾.^(٤)

والبحث في هذه الآية موضوعاً ومحمولاً دالٌّ على كون ذوي القربى المراد بهم في أبرز أفرادها هي فاطمة عليها السلام من ناحية الموضوع، ومن ناحية المحمول المراد بالحق هو ملكية تصرّفها في الأموال العامّة من الأنفال والفيء وملكيتها في الخمس.

١ . يلاحظ أبواب الخمس والأنفال في وسائل الشيعة والكتب الأربعة.

٢ . الأعراف / ١٢٨ .

٣ . الكافي / ١ / ٤٠٧، الحديث ١ (كتاب الحجّة، الباب ١٠٥: باب أنّ الأرض كلّها للإمام عليه السلام).

٤ . الإسراء / ٢٦ .

على أن الآية نزلت في فاطمة عليها السلام كما هو عليه الفريقان، فممن روى أنها نزلت في فاطمة عليها السلام ما في معارج النبوة، قال لما نزل جبرئيل إلى رسول الله بقوله تعالى ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ قال رسول الله: «مَن ذُو الْقُرْبَىٰ وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: هُوَ فَاطِمَةُ فَأَعْطَاهَا فَدَكَ»^(١).

الجهة السادسة: ثبوت الخمس لها ومطالبتها به يقتضي ولايتها العامة

إن ثبوت حقها في الخمس بعنوان ذوي القربى ومطالبتها به عند مخاصمتها لأبي بكر محتجة على ذلك لكونها أول قرابة النبي عليه السلام - كما قد تبين في الجهة السابقة - مقتضى لثبوت ولايتها العامة، وإن لم تكن إماماً؛ وذلك لأن الخمس أكبر ضريبة مالية في التشريع الإسلامي، وهي تزيد على حاجات بني هاشم زادهم الله شرفاً؛ إذ الخمس كما هو واضح هو ٢٠٪ من مجموع رساميل الأمة، وهذا المقدار الهائل من المال مقوم لمقام الولاية العامة على الناس.

وهذا ما دفع أهل السقيفة والأنظمة المتعاقبة بعدهم إلى منع الخمس عن أهل البيت عليهم السلام حيث قد فطنوا إلى ما يعنيه الخمس من الولاية العامة كما أفصح عنه عمر في قوله لأبي بكر عندما أشار إليه بمنع الخمس عن أهل البيت عليهم السلام، فإنه علل ذلك بأن الخمس موجب لحكومة أهل البيت على الناس؛ حيث قال: إن الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن عليّ الخمس والفيء وفدك، فإن شيعته إذا علموا بذلك تركوا علياً رغبة في الدنيا

١. معارج النبوة ١ / ٢٢٧ * ومن روى ذلك: مجمع الفوائد عن أبي سعيد * وكذلك القندوزي في ينابيع المودة / ١١٩ * والثعلبي في تفسيره في شأن نزول الآية ٤ / ٤٥ * والألوسي في تفسيره روح المعاني ١٥ / ٥٨ * كما أخرج ذلك ابن جرير الطبري عن علي بن الحسين عليه السلام * والحاكم النيسابوري في شواهد التنزيل في مورد نزول الآية ١ / ٥١٣ - ٥٢١ * والعلامة الكاندهلوي الهندي في حياة الصحابة ٢ / ٥١٩ * وابن حجر العسقلاني في المطالب العلية ٣ / ٣٦٧، وغيرها من المصادر.

وايثاراً ومحابة عليها.^(١)

وهو ما دعى عمر بن الخطاب كذلك أن يقول في مخاصمته للصديقة عليها السلام: وأنت تدعين أمراً عظيماً يقع به الردة بين المهاجرين والأنصار.^(٢) ودعاه إلى أن يقول أيضاً: فَصَّعِي الحبال في رقابنا.^(٣)

قال المجلسي في شرحها: أي إنك إذا أعطيت ذلك وَصَّعْتَ الحبل على رقابنا وجعلتنا عبيداً لك، وإذا حكمت على مالم يوجف عليه أبوك بأنها ملكك فاحكمي على رقابنا أيضاً بالملكية.

وفي سنن البيهقي في باب سهم ذوي القربى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيتُ علياً عليه السلام عند أحجار الزيت، فقلت له: بأبي وأمي ما فعل أبو بكر وعمر في حَقِّكم أهل البيت الخمس؟

قال عليه السلام: «إنَّ عمر قال: لكم حق ولا يبلغ علمي إذا كثر أن يكون لكم كلُّه، فإن شئتم أعطيتكم منه بقدر ما أرى لكم فأبينا عليه إلا كلُّه، فأبى أن يعطينا كلُّه».^(٤) ولأجل ذلك تشدَّد أبو بكر وعمر في منع الخمس عنهم.

وفي تفسير الطبري عن قتادة: أنه سأل عن سهم ذي القربى، فقال: كان طُعْمَةً لرسول

١. مستدرک الوسائل ٧/ ٢٩٠، الرقم المسلسل للحديث ٨٢٤٧ (كتاب الخمس، أبواب قسمة الخمس، الباب الأول: باب أنه يقسم ستة أقسام، الحديث ١٠).

٢. بحار الأنوار ٢٩/ ١٩٧.

٣. الكافي ١/ ٥٤٣، الحديث ٥ (كتاب الحجَّة، أبواب التاريخ، الباب ١٣٠: باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه، الحديث ٥). وعبارة المجلسي منقولة من المرأة، مذكورة في هامش الكافي، نفس الصفحة.

٤. سنن البيهقي ٦/ ٣٤٤* ورواه الشافعي في مسنده في كتاب قسمة الفيء/ ١٨٧.

الله ﷺ، فلما توفي حمل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله صدقة عن رسول الله ﷺ. (١)

وفي سنن البيهقي أيضاً عن أبي الطفيل قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر قالت: ما بال الخمس؟ قال: إنّي سمعت رسول الله يقول: إذا أطعم الله نبياً طعمة ثم قبضه كانت للذي يلي بعده، فلما وليت رأيت أن أردّه على المسلمين. (٢)

وفي مسند أحمد وسنن البيهقي: كان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله غير أنه لم يكن يعطي قربي رسول الله ﷺ ما كان النبي يعطيه منه. (٣)

وهذا كما ترى إقرار من أبي بكر بكون جعل الخمس لذوي القربى هو من شؤون ولاية أهل البيت العامّة وبالتالي من شؤون ولاية الزهراء عليها السلام في الأمور العامّة وأن لم تكن إماماً.

١. تفسير الطبري ١٠ / ٦.

٢. سنن البيهقي ٦ / ٣٠٣ * ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥ / ٣٤١ وقال: ورواه أحمد ورجاله صحيح * وفي صحيح أبي داود ٣ / ١٤٥ باب أن أبا بكر لم يكن يعطي قربي رسول الله ﷺ من الخمس ما فرض الله لهم.

٣. مسند أحمد ٤ / ٨٣ * وسنن البيهقي ٦ / ٣٤٢.

تأملات جديدة في محاججات فذك

ذكرت مصادر أهل السنة أن أبابكر نسب إلى الرسول ﷺ من القول (ما تركناه صدقة...) وقد خفي عليهم أن ذلك حجة على أبي بكر تخصمه من جهتين:

الأولى: سلمنا إن الخمس والفيء والأنفال الخاص برسول الله ﷺ - كما يقرّ بذلك أبو بكر - هي صدقة قد تصدّق بها رسول الله ﷺ في سبيل الله، إلا أن الكلام في من تكون له النظارة والإشراف على تلك الصدقة المسبلة، فإن الذي يخلف المتصدّق في الصدقات المسبلة والصدقات الجارية هو وارث المتصدّق لا الأجنبي، فأحقّ من يقوم مقام رسول الله ﷺ الذي يكون هو ناظراً في صدقاته الجارية هو وارثه، وهي الصديقة الطاهرة (عليها السلام)، ومن ثم هي التي يكون لها الولاية العامّة على هذه الأموال فيعود ما رواه خاصاً له داخضاً لدعواه.

الثانية: إن أبابكر - بوضع يده على الخمس مبرراً ذلك بأنه لولي الأمر وولاية عامّة - أقرّ بأن جعل الخمس لذوي القربى من الله تعالى مقرونين بالرسول هو جعل للولاية العامّة لهم ولولاية الأمر.

هذا وقد أشار إلى ذلك - أي إن مقتضى اختصاص الخمس بذوي القربى هو ولاية عامّة -

بعض الأعاضم رحمه الله تعالى بقوله:

الخمس أحد الموارد الضخمة التي تصبّ في بيت المال ويشكّل أحد مصادر الميزانية وبحسب مذهبنا يؤخذ الخمس بشكل عادل من جميع المصالح، سواء الزراعة أو التجارة أو المصادر المخزونة في جوف الأرض أو الموجودة فوقها وبشكل عام من جميع المنافع والعوائد بنحو يشمل الجميع؛ من بائع الخضار على باب المسجد إلى العامل في السفن أو مَنْ يستخرج المعادن.

فهؤلاء عليهم دفع الخمس من أرباحهم بعد صرف المصارف المتعارفة إلى الحاكم الإسلامي لكي يضعه في بيت المال، ومن البديهي أنّ مورداً بهذه العظمة إنّما هو لأجل إدارة بلد إسلامي وسدّ جميع حاجاته المالية. فعندما نحسب أرباح جميع البلدان الإسلامية أو جميع أنحاء الدنيا فيما لو صارت تحت الحكم الإسلامي، يتّضح لنا أنّ الهدف في وضع ضريبة كهذه ليس مجرد سدّ حاجة السادة الهاشميين وعلماء الدين، بل إنّ القضية أهم من ذلك. فالهدف هو سدّ الحاجة المالية لجهاز حكومي كبير.

ففي ما لو قامت الحكومة الإسلامية يجب أن تدار بواسطة هذه الضرائب من الخمس والزكاة - ومقدار الزكاة بالطبع ليس كبيراً - والجزية والخراج (الضرائب على الأراضي الوطنية الزراعية)، فالسادة الهاشميون ليسوا بحاجة إلى ميزانية كهذه، إذ خمس أرباح سوق بغداد يكفي للسادة ولجميع الحوزات العلمية وجميع فقراء المسلمين فضلاً عن أسواق طهران وإسطنبول والقاهرة وسائر الأسواق، فتعيين الميزانية بهذه الضخامة يدل على أنّ

الهدف هو تشكيل حكومة وإدارة بلد.^(١)

وأخرج المجلسي- في البحار عن مصباح الأنوار عن ابن بابويه مرفوعاً إلى أبي سعيد الخدري، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [لفاطمة عليها السلام]: لَكَ فَدُكٌّ».

وفي رواية أخرى عنه أيضاً مثله، وعن عطية قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ فَأَعْطَاهَا فَدُكًّا».

وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «أَقْطَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ فَدُكًّا».

وعن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قُلْتُ: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى فَاطِمَةَ فَدُكًّا؟»

قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَفَهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ فَأَعْطَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَقَّهَا.

قلت: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْطَاهَا؟ قَالَ: بَلِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَعْطَاهَا».^(٢)

إلى غيرها من الروايات الآتية.

فكون فاطمة عليها السلام مورداً لنزول الآية أمر محقق بين الفريقين، مضافاً إلى اقتضاء عنوان ذي القربى ذلك كما مرّ.

١. الحكومة الإسلامية، القسم الثاني حقيقة قوانين الإسلام وكيفيةها تحت عنوان الأحكام المالية.

٢. بحار الأنوار ٩٦ / ٢١٢، الحديث ١٨ * كما روى السيد ابن طاووس في كتاب سعد السعود من تفسير محمد بن عباس بن علي بن مروان قال:

روى حديث فدك في تفسير قوله تعالى ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ من عشرين طريقاً، سعد السعود / ١٠١ - ١٠٢ * وقد ذكر المجلسي- مصادر

عديدة من طرقنا فلاحظ، مجلد ٢٩ من كتاب الفتن والمحن، الباب ١١، نزول الآيات في أمر فدك.

فيقع البحث في مفاد الحكم في هذه الآية وعن معنى الحق الذي أمر تعالى نبيه بإعطائه فاطمة عليها السلام، هل هو قضية في واقعة، أم أنه بنحو القضية الحقيقية الدائمة؟ ومن أجل ذلك استحقت نزول قرآن فيها، وإلا لكان أمراً إلهياً ينزل به الوحي من دون أن يكون قرآناً يتلى على أسماع المسلمين إلى يوم القيامة.

وبالتالي ينتهي البحث إلى أن هذا الحق هل هو مغاير للحق الذي جعل لذي القربى في آية الخمس وآيات الأنفال والفداء وهو ملكية التصرف في الأموال العامة وولايتهم فيها أم أنه حق آخر؟

الظاهر أنه الوحدة والاتحاد، وذلك لأن ظاهر الآية ليس ابتداءً تشريع الحق لذي القربى وإنما هو تنفيذ ما قد شرع وتنجيز ما قد جعل، فهو أمر بالمعاجلة في الأداء والإنجاز لما قد قرّر سابقاً.

نظير قوله تعالى في آيات الغدير ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١) حيث أن الأمر في الآية ليس إلا بتبليغ وإنفاذ ما قد أمر به سابقاً، فالأمر متعلق بتعجيل الإنجاز وعدم التراخي والتأخير خوفاً من عدم ايمان الناس بذلك وعدم استجابتهم.

فكذا الحال في آية ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ حيث أن هذا الحق قد قرّر وجعل سابقاً في آيات الفداء والأنفال والخمس إلا أن النبي صلى الله عليه وآله لم يُنجزه خشيةً من إرجاف المنافقين والظعن على النبي صلى الله عليه وآله وبالتالي تزلزل ايمان واستجابة الناس لأمر الله تعالى.

ولعلّ في إبطائه ﷺ ارادة منه لتأكيدہ تعالیٰ بیان آخر قاطعاً شك المرتابين، كما تشعر به كل من آيات الخمس والفیء والأنفال، حيث ذُيِّلَت آية الأنفال بقوله تعالیٰ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وذُيِّلَت آية الفیء أيضاً بقوله تعالیٰ: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.^(١)

وذُيِّلَت آية الخمس بقوله تعالیٰ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَیِّ الْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) مما ينبیء عن عدم انصیاع الناس وتزلزل خطبهم في حقّ ذي القربى وهو ولايتهم على الأموال العامة.

رؤية جديدة في فدك

ومما يدعم أنّ إعطاء فدك لم تكن قضية في واقعة بل هو حقّ مستمر إلى يوم القيامة: أنّ خصام الصديقة عليها السلام مع أبي بكر في أمر فدك كان احتجاجاً بحقّ ذوي القربى وملكية تصرّفهم في الفیء والأنفال وخمس الغنائم، فلم يكن خصامها منصباً على خصوص فدك، كما لم يكن خصامها في فدك مقدمةً أو كنايةً للاحتجاج في ولاية علي عليه السلام وإمامته فحسب، بل إنّ الخصام في فدك هو بعينه احتجاج لولاية أهل البيت وإمامتهم عليهم السلام، لأنّ فدك التي أعطاها النبي صلّى الله عليه وآله لفاطمة بنزول الآية هو إنجاز لحقّهم في ملكية التصرف في الفیء

١. الحشر / ٧.

٢. الأنفال / ٤١.

والأنفال وخمس الغنائم.

فالخصام في فذك بعينه خصام في ولاية أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ الولاية على النبيء والأنفال - كما تقدّم - يستلزم الولاية والإمامة العامّة وإن كان ملكيتها عليها السلام لذك هي بوجوه متعدّدة؛ من كونها نحلةً وكونها أداءً لدينٍ مهْر خديجة وكونها إرثاً وكونها تحت يدها وكونها مطهّرةً معصومة لا تقول إلاّ الصدق، وغيرها من الوجوه التي تتبيّن بالتدبر عند محاجّتها في فذك.

وقد كان احتجاجها والمطالبة بذك بكلّ تلك الوجوه إلاّ أنّ عمدة وجوه الإحتجاج هو بحقّ ذوي القربى وولايتهم في الأنفال والنبيء ويلوح من ثقة الإسلام الكليني ذلك حيث يقول: وأمّا الأنفال فليس هذه سبيلها، فهي كانت للرسول صلّى الله عليه وآله خاصّة وكانت فذك لرسول الله صلّى الله عليه وآله خاصّة، لأنّه صلّى الله عليه وآله فتحها وأمير المؤمنين عليه السلام، لم يكن معها أحد.^(١)

ويصرّح بذلك من الروايات:

الاولى: ما رواه الكليني في الكافي والشيخ في التهذيب بإسنادهما عن عليّ بن أسباط قال:

«لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي رآه يردّ المظالم، فقال يا أمير المؤمنين، ما بال

مظلمتنا لا تُردّ؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟

قال: إنّ الله لما فتح على نبيّه صلّى الله عليه وآله فذك وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل

الله على نبيّه صلّى الله عليه وآله ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّةً﴾ فلم يذّر رسول الله صلّى الله عليه وآله من هُم؟ فراجع في ذلك

جبرئيل وراجع جبرئيل عليه السلام ربّه.

١. الكافي ١/ ٥٣٨. (كتاب الحجّة، أبواب التاريخ، الباب ١٣٠: باب النبيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه).

فأوحى الله إليه: أن ادفع فذك إلى فاطمة عليها السلام. فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لها: يا فاطمة، إن الله أمرني أن أدفع إليك فذك، فقالت: قد قبلتُ يا رسول الله من الله ومنك. فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلائها، فأتته فسألته أن يردها عليها، فقال لها: إئتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمر المؤمنين عليهم السلام وأم أيمن فشهدا لها، فكتب لها بترك التعرض.

فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر، فقال: ما هذا معك يا بنت محمد؟ قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة. قال أرنيه. فأبت فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومجاه وخرقه. فقال لها: هذا لم يوجف أبوك فضعي الحبال في رقابنا.

فقال له المهدي: يا أبا الحسن، حُدّها لي. فقال: حدُّ منها جبل أحد، وحدُّ منها عريش مصر، وحدُّ منها سيف البحر، وحدُّ منها دومة الجندل. فقال له: كل هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، هذا كله، إن هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخيل ولا ركاب.

فقال: كثيرٌ وأنظر فيه»^(١).

وفي بحار الأنوار عن المناقب: أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: خذ فذكاً حتى أردّها إليك، فيأبى حتى ألحّ عليه، فقال عليه السلام «لا آخذها إلا بحدودها. قال: وما حدودها؟

١. الكافي / ١ / ٥٤٣ (كتاب الحجّة، أبواب التاريخ، الباب ١٣٠: باب الفيء والأنفال وتفسير الخمس وحدوده وما يجب فيه، الحديث ٥) *

التهذيب / ٤ / ١٤٨، الرقم المسلسل للحديث ٤١٤ (كتاب الزكاة، الباب ٣٩: باب الزيادات، الحديث ٣٦).

قال: **إِنْ حَدَدْتُهَا لَمْ تَرُدَّهَا. قال: بِحَقِّ جَدِّكَ إِلَّا فَعَلْتُ؟**

قال: **أما الحدّ الأول فَعَدَنُ، فتغيّر وجهُ الرشيد وقال: أيهاً.**

قال: **والحدّ الثاني سمرقند، فاربّد وجهه.**

قال: **والحدّ الثالث إفريقية، فاسودّ وجهه. وقال: هيه.**

قال: **والرابع سيف البحر مما يلي الجزر وارمينية.**

قال الرشيد: **فلم يبق لنا شيء، فتحوّل إلى مجلسي.**

قال موسى: **قد أعلمتك أنني إن حَدَدْتُهَا لَمْ تَرُدَّهَا.**

فعند ذلك عزم على قتله»^(١).

وفي هذه الرواية دلالة واضحة على اتحاد الحقّ في قوله تعالى {وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ} والحقّ في الفياء والأنفال الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، كما أنّ فيه تصرّيحاً بأنّ أوّل مصاديق ذوي القربى هي فاطمة عليها السلام، كما أنّ في الرواية تصرّيحاً بأنّ حقّها عليها السلام يمتدّ بامتداد الأنفال وسِعَتِهَا، فالبلاد التي لم تفتح بيد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بأذنه فهي من الأنفال وبالتالي تكون متعلّقة بحقّ الصديقة عليها السلام، ومن بعدها للأئمة من ذريّتها.

ومن ثم فلا يقتصر حقّها في ملكية التصرف في الأموال العامّة، بل إنّ ولايتها تشمل التدبير في مطلق الأمور العامّة في الوقت الذي كانت الولاية بيد الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بلا تعارض بين هذه الولايات، أي بنحو الطولية، كما هو الحال بين ولاية الله تعالى وولاية الرسول وولاية الإمام المعصوم وسيأتي بيان ذلك في الجهة اللاحقة.

١. بحار الأنوار ٤٨ / ١٤٤، الحديث ٢٠ (أبواب تاريخ الإمام موسى بن جعفر، الباب ٤٠: باب مناظرته مع خلفاء الجور).

وبعبارة أخرى: ما ورد من (أنّ الأرض كلّها للإمام) يراد به هو كون الأنفال له بمعنى أنّ له ملكية التصرف وولاية التصرف فيها، وهذه الملكية في حين أنها ليست على حذو الملكية الفردية الخاصة بل بمعنى ولايته على الأرض وتدير أمورها، هي ملكية أيضاً بالمعنى الإصطلاحي كذلك؛ إذ لا معنى للملك إلا السلطنة على التصرفات.

فيتبيّن من ذلك أنّ الملكية للفيء والأنفال والأرض ليست ملكية مالية محضة بل هي علاوة على ذلك ولاية تصرف وتدير وحيث أنّ الصديقة (عليها السلام) ممن له الحق في الأنفال والفيء فهي ذات ولاية في الأمور العامّة وملكية تصرف وتدير فيها، وإن لم تكن ولايتها مستقلة كالإمامة.

ومن ثم فسّر الإمام الكاظم (عليه السلام) حقّ الصديقة في فدك - الذي ورثه هو (عليه السلام) عن جدّته الصديقة (عليها السلام) - بالولاية العامّة على بلاد المسلمين، لا كما يقال في معنى الرواية بأنه (عليه السلام) كنى عن حقّه في الإمامة والولاية بحقّ الصديقة في خصوص فدك.

بل الأصل في تعبيره (عليه السلام) أنّ حقّ فدك استحقّته (عليها السلام) باستحقاقها في الأنفال والفيء الذي هو الولاية في الأمور العامّة لأنّه يستلزمه، وتّفصّل آية الفيء عن ذلك حيث تعلّل اختصاص ذوي القربى بالفيء والأنفال بأنه موجب للعدالة المالية والاقتصادية بين المسلمين.

ومن البين أنّ تلك العدالة لا تتحقق إلا لمن يملك زمام الأمور العامّة، فهذا الإختصاص في حين أنه ملكية - بتمام ما للملكية من معنى - فهو أيضاً ولاية للأمر العامّة لما تقدّم من أنّ الملكية ليست إلا السلطنة على التصرفات.

نظير هذه الرواية ما ورد في بحار الأنوار من أخبار الخلفاء وتعاطيهم في فذك.

الثانية: ما رواه المفضل عن الصادق عليه السلام قوله:

«لما ولي أبو بكر بن أبي قحافة قال له عمر: إنَّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن عليّ وأهل بيته الخمس والفيء، وفدكاً، فإنَّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا علياً وأقبلوا إليك رغبةً في الدنيا وإيثاراً ومحابةً عليها، ففعل أبو بكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك.»

فلما قام - أبو بكر بن أبي قحافة - مناديه: مَنْ كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله دين أو عِدَّة فليأتني حتى أقضيه، وأنجز لجابر بن عبد الله ولجدير بن عبد الله البجلي.

قال: قال عليّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام: صيري إلى أبي بكر وذكّريه فدكاً، فصارت فاطمة إليه وذكّرت له فدكاً مع الخمس والفيء.

فقال: هاتي بيّنة يا بنت رسول الله.

فقالت: أما فذك، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل على نبيِّه قرآناً يأمر فيه بأن يؤتيني وولدي حقّي، قال الله تعالى ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ فكنت أنا وولدي أقرب الخلائق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فَنَحَلْنِي وولدي فدكاً.

فلما تلا عليه جبرئيل عليه السلام ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما حقّ المسكين وابن السبيل؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُصَّةً وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

فَقَسَمَ الخمس على خمسة أقسام، فقال ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ

وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴿١٠٦﴾ فما لله فهو لرسوله، وما لرسول الله فهو لذي القربى، ونحن ذو القربى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

فنظر أبو بكر بن أبي قحافة إلى عمر بن الخطاب وقال: ما تقول؟ فقال عمر: ومن اليتامى والمساكين وأبناء السبيل؟

فقالت فاطمة عليها السلام: اليتامى الذين يأمّون بالله وبرسوله وبذي القربى والمساكين الذين أسكنوا معهم في الدنيا والآخرة، وابن السبيل الذي يسلك مسلكهم.

قال عمر: فإذن الخمس والفيء كله لكم ولمواليكم وأشياعكم؟

فقالت فاطمة عليها السلام: أما فذك، فأوجبها الله لي ولولدي دون موالينا وشيعتنا؛ وأما الخمس، فقسّمه الله لنا ولموالينا وأشياعنا كما يقرأ في كتاب الله.

قال عمر: فما لسائر المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان؟

قالت فاطمة: إن كانوا موالينا ومن أشياعنا فلهم الصدقات التي قسّمها الله وأوجبها في كتابه، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ﴾.

قال عمر: فذك لك خاصة والفيء لكم ولأولياكم؟ ما أحسب أصحاب محمد يرضون

بهذا؟

قالت فاطمة: فإن الله عزّ وجلّ رضي بذلك ورسوله رضي به، وقسّم على الموالاة والمتابعة

لا على المعادة والمخالفة، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن خالفنا فقد خالف الله، ومن خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الأليم والعقاب الشديد في الدنيا والآخرة.

فقال عمر: هاتي بيّنة يا بنت محمد على ما تدّعين؟!!

فقال فاطمة عليها السلام: قد صدّقتم جابر بن عبد الله وجريير بن عبد الله ولم تسألوهما البيّنة! وبيّنتي في كتاب الله.

فقال عمر: إنّ جابراً وجريراً ذكراً أمراً هيّناً، وأنت تدّعين أمراً عظيماً يقع به الردّة من المهاجرين والأنصار.

فقال عليها السلام: إنّ المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه، والأنصار بالايان بالله ورسوله وبذي القربى أحسنوا، فلا هجرة إلّا إلينا ولا نصرّة إلّا لنا، ولا اتّباع بإحسان إلّا بنا، ومن ارتدّ عنّا فإلى الجاهلية.

فقال لها عمر: دعينا من أباطيلك، واحضرينا من يشهد لك بما تقولين!!!

فبعثت إلى عليّ والحسن والحسين وأمّ أيمن وأسما بنت عميس - وكانت تحت أبي بكر بن ابي قحافة - فأقبلوا إلى أبي بكر وشهدوا لها بجميع ما قالت وادّعته.

فقال: أما عليّ فزوّجها، وأما الحسن والحسين إبناتها، وأمّ أيمن فمولاتها، وأما أسما بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة، وكلّ هؤلاء يجرّون إلى أنفسهم.

فقال عليّ عليه السلام: أما فاطمة فبضعة من رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن آذاها فقد آذى رسول الله صلّى الله عليه وآله

ومن كذبها فقد كذب رسول الله.

وأما الحسن والحسين فإننا رسول الله ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة، ومن كذّبها فقد كذّب رسول الله ﷺ إذ كان أهل الجنة صادقين.

وأما أنا فقد قال رسول الله ﷺ: أنت منّي وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة والرادّ عليك هو الرادّ عليّ، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني.

وأما أم أيمن فقد شهد لها رسول الله ﷺ بالجنة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريتها.

قال عمر: أنتم كما وصفتم أنفسكم، ولكن شهادة الجارّ إلى نفسه لا تقبل.

فقال عليّ عليه السلام: إذا كنا كما نحن كما تعرفون ولا تنكرون، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل،

وشهادة رسول الله لا تقبل، فإننا لله وإنّا إليه راجعون، إذا ادّعينا لأنفسنا تسألنا البيّنة؟ أفما من معين يُعين، وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله، فأخرجتموه من بيته إلى بيت

غيره من غير بيّنة ولا حجة ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١).

ثم قال لفاطمة: انصر في حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين^(٢).

فصريح هذه الرواية أنّ مطالبتها ﷺ بفدك أحد وجوهها هو حقّها ﷺ في الفيء والخمس

وأنّ المطالبة لم تكن مقتصرة على الأرض المخصوصة.

الثالثة: ومنها ما رواه الشيخ بإسناده عن اسحاق بن عمار وأبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام

قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أمهر فاطمة ﷺ ربع الدنيا، فربعها لها، وأمهرها الجنة والنار،

١. الشعراء/ ٢٢٧.

٢. بحار الأنوار ٢٩/ ١٩٤، الحديث ٤٠ (كتاب الفتن والمحن، الباب ١١: نزول الآيات في أمر فدك وقصصه وجوامع الإحتجاج فيه) *

مستدرک الوسائل ٧/ ٢٩٠، الرقم المسلسل للحديث ٨٢٤٧ (كتاب الخمس، أبواب قسمة الخمس، الباب الأول: باب أنّه يقسم ستّة أقسام،

الحديث ١٠).

تُدخل أعداءها النار وتدخل أوليائها الجنة، وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى^(١).

والتعبير (باللام) على حذو التعبير بها في آية الفيء والأنفال المفيدة لملك التصرف والولاية العامة، ولعل وجه التقدير بالربع لبيان عدم استقلالها عليها السلام بالولاية، بل بالمشاركة الطولية مع النبي والإمام المعصوم عليه السلام، حيث أنها لم تكن إماماً.

الرابعة: وروى العلامة السيد عليّ الهمداني وهو من علماء أهل السنة في مودة القربى عن عتبة بن الأزهرى عن يحيى بن عقيل، قال: سمعتُ علياً يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله أمرني أن أزوجه بفاطمة رضي الله عنها على خمس الدنيا أو على ربعها - شك فيه عتبة - فمن مشى على الأرض وهو يبغضك في الدنيا فالدنيا عليه حرام، ومشيه فيها حرام»^(٢).

الخامسة: ورووا أيضاً أعلام كالصفوري الشافعي البغدادي في نزهة المجالس^(٣)، وفي المحاسن المجتمعة^(٤) وأبي يوسف الدمشقي في أخبار الدول وآثار الأول^(٥) والدهلوي في تجهيز الجيش^(٦) رووا جميعاً: أن صداقها شفاعتها لأمة أبيها.

وهذا يعاضد ولايتها على هذه الأمة، إذ الشفاعة لمجموع الأمة يستلزم كون الشفيع ذا

١. بحار الأنوار ٤٣ / ١٠٥، الحديث ١٩ (أبواب تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء، الباب ٥: تزويجها صلوات الله عليها) * أمالي الطوسي،

المجلس ٣٦، الحديث ٦.

٢. مودة ذوي القربى / ٩٢ * عنه: احقاق الحق ١٠ / ٣٦٨.

٣. نزهة المجالس ٢ / ٢٢٥ * عنه: احقاق الحق ١٠ / ٣٦٧.

٤. المحاسن المجتمعة / ١٩٤، مخطوط * عنه: احقاق الحق ١٠ / ٣٦٧.

٥. أخبار الدول وآثار الاول / ٨٨ * عنه: احقاق الحق ١٠ / ٣٦٧.

٦. تجهيز الجيش / ١٠٢، مخطوط * عنه احقاق الحق ١٠ / ٣٦٧.

صلة بين مجموع الأمة والمشفوع عنه، حيث أنّ الشفاعة نحو كفالة مطوي فيها تحمّل الشفيع مسؤولية المشفوع عنه، مما يعطي كون الشفيع له نحو ولاية مسبقة على المشفوع عنه، لاسيما أنّ في الحديث ورد عنوان «الأُمَّة».

السادسة: وما رواه المجلسي:- (قيل للنبي ﷺ: قد علمنا مهر فاطمة في الأرض، فما مهرها في السماء؟

قال: سل عما يعينك ودع ما لا يعينك.

قيل: هذا مما يعيننا يا رسول الله.

قال: كان مهرها في السماء خمس الأرض فَمَنْ مشى عليها مغضباً لها ولولدها مشى عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة»^(١).

السابعة: في معتبرة يعقوب بن شعيب: «قال لما زوج رسول الله ﷺ علياً فاطمة دخل عليها وهي تبكي. فقال لها: ما يبكيك، فوالله لو كان في أهلي خير منه ما زوجتكه، وما أنا زوجتكه ولكن الله زوجك وأصدقك عنك الخمس مادامت السموات والأرض»^(٢).

الثامنة: وفي الكافي: «ولكن الله زوجك من السماء وجعل مهرك خمس الدنيا ما دامت السموات والأرض»^(٣).

التاسعة: وفي الجلاء والشفاء في خبر طويل عن الباقر عليه السلام «وَجُعِلَتْ نِحْلَتُهَا مِنْ عَلِيٍّ خُمُسُ الدُّنْيَا وَثَلَاثُ الْجَنَّةِ وَجُعِلَتْ لَهَا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: الْفَرَاتُ، وَنَيْلٌ مِصْرَ، وَنَهْرُ وَاوَانَ،

١. بحار الأنوار ٤٣ / ١١٣ (كتاب تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء، الباب ٥: باب تزويجها).

٢. بحار الأنوار ٤٣ / ١٤٤ (كتاب تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء، الباب ٥: باب تزويجها).

٣. الكافي ٥ / ٣٧٨ (كتاب النكاح، باب ما تزوّج عليه أمير المؤمنين عليه السلام فاطمة عليها السلام، الحديث ٧).

ونهر بلخ، فزوّجها أنت يا محمد، بخمسمائة درهم تكون سنة لأمتك»^(١).

العاشرة: وفي حديث خباب بن الأرت: «ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: زوّجت فاطمة ابنتي منك بأمر الله تعالى على صداق خمس الأرض وأربعمائة وثمانين درهماً، الآجل خمس الأرض، والعاجل أربعمائة وثمانين درهماً» وقد روي حديث خمس الأرض يعقوب بن شعيب عن الصادق عليه السلام.^(٢)

الحادية عشر: ومثله ما في مصباح الأنوار وكتاب المحتضر رفعه بإسناده عن ابن عباس: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «يا عليّ، إنّ الله عزّ وجلّ زوّجك فاطمة وجعل صداقها الأرض، فمَنْ مشى عليها مبغضاً لك مشى عليها حراماً»^(٣).

الثانية عشر: وروي في فقه الرضا: «أروي عن العالم عليه السلام أنه قال: ركز جبرئيل برجله حتى جرت خمسة أنهار ولسان الماء يتبعه الفرات ودجلة والنيل ونهر مهربان ونهر بلخ، فما سقت وسقى منها فلإمام، والبحر المطيف بالدنيا. وروي أن الله جل وعزّ جعل مهر فاطمة عليها السلام خمس الدنيا، فما كان لها صبار لولدها عليه السلام»^(٤).

ومفاد هذه الجملة من الروايات من أنّ مهر فاطمة عليها السلام خمس الأرض أربعمائة وأنها لها، نظير ما ورد في أنّ الأرض كلّها للإمام، والمراد باللام فيها ملكية التصرف أي الولاية العامّة عليها.

١. بحار الأنوار ٤٣ / ١١٣ (كتاب تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء، الباب ٥: باب تزويجها).

٢. بحار الأنوار ٤٣ / ١١٣ (كتاب تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء، الباب ٥: باب تزويجها).

٣. بحار الأنوار ٤٣ / ١٤٥، الحديث ٤٩ (كتاب تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء، الباب ٥: باب تزويجها).

٤. مستدرک الوسائل، ٧ / ٢٩٥، الرقم المسلسل للحديث ٨٢٥٠ (كتاب الخمس، أبواب الأنفال وما يختص بالإمام، الباب الأوّل: باب أنّ الأنفال كلّ ما يصطفيه من الغنيمة و...، الحديث ٢).

الثالثة عشر: ومنها ما رواه الكليني في الكافي بسند صحيح إلى أبي خالد الكابلي عن أبي

جعفر عليه السلام، قال:

«وجدنا في كتاب علي عليه السلام {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}،

أنا وأهل بيتي الذين أورشنا الله الأرض ونحن المتقون والأرض كلها لنا»^(١).

الرابعة عشر: وما رواه الكليني كذلك بسنده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إِنَّ

الله تبارك وتعالى جعل لنا أهل البيت سهاماً ثلاثة في جميع الفيء، ثم قال عز وجل:

﴿وَأَعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ فنحن أصحاب الخمس والفيء وقد حرّمناه على جميع الناس ما خلا شيعتنا.

والله يا أبا حمزة، ما من أرض تفتح ولا خمس يخمس فيضرب على شيء منه إلا كان حراماً

على من يصيبه، فَرَجاً كان أو مالا، ولو قد ظهر الحقّ لقد بيع الرجل الكريمة عليه نفسه

فيمن لا يزيد حتى أنّ الرجل منهم ليفتدي بجميع ماله ويطلب النجاة لنفسه فلا يصل إلى

شيء من ذلك وقد أخرجونا وشيعتنا من حقنا ذلك بلا عذر ولا حق ولا حجة»^(٢).

ونظير هذه الرواية مما عبّر بذوي القربى كثير من الروايات الواردة في باب الأنفال

والفيء، وهذان العنوانان لا ريب في شمولهما لها عليها السلام.

والخلاصة: قد تحصل من الجهات المتقدمة مشاركة الصديقة عليها السلام مع النبي والإمام في

الولاية العامة في الأمور بنحو المشاركة الطولية وإن لم تكن ولايتها عليها السلام مستقلة بل بنحو

١. الكافي / ١ / ٤٠٧، الحديث ١ (كتاب الحجّة، الباب ١٠٥: باب أنّ الأرض كلها للإمام عليه السلام).

٢. الكافي / ٨ / ٢٨٥، الحديث ٤٣١ (كتاب الروضة).

التشريك، والولاية بهذا المعنى ليس مقتضاها الإمامة والولاية العامة الإصطلاحية ولكنها لا تقتصر على الأموال العامة من جهة ماليتها ولا على خصوص أرض فدك والعوالي كما قد درج تفسير احتجاجها في أرض فدك على ذلك.

الجهة السابعة: ولايتها ومؤيدات أخرى

ويؤيد استقاء ولايتها من الآيات والروايات المتقدمة أمور أخرى، منها: كون ولاية زواجها بيده تعالى خاصة، دون الرسول عليه السلام ودون الإمام المعصوم، مع أن مقتضى قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(١) هو ولايته على كل أفراد المؤمنين مقدّمة على ولايتهم على أنفسهم، ومن ثم زوج النبي عليه السلام من زيد بن حارثة مولاه، مع أنها كانت كراهة لذلك، فضلاً عن كراهية أهلها، فنزل في ذلك قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٢).

وكذلك الحال في الإمام المعصوم حيث يرث مقام الرسول فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم في شؤونهم الفردية كما هو وليهم في أمورهم العامة.

إلا أن في خصوص الزهراء عليها السلام قد ورد من طريق الفريقين^(٣) أن ولي أمر زواجها هو الله

١. الأحزاب/ ٦.

٢. الأحزاب/ ٣٦.

٣. فقد ورد عن طرق أهل السنة ما تواتر من قوله عليها السلام - عندما خطب أبو بكر إلى النبي عليه السلام فاطمة عليها السلام فقال: «أنتظر لها القضاء» ثم خطب اليه عمر، فقال: «أنتظر لها القضاء» الخبر.

وقد روى ذلك الطبراني في المعجم الكبير ١٠ / ١٥٦ * كنز العمال ١١ / ٦٠٠ * ميزان الاعتدال ٢ / ٦٧١ * ينابيع المودة ٢ / ٨٩ * الجامع الصغير للسيوطي ١ / ٢٥٨ * الكشف الحثيث / ١٧٤ * تاريخ مدينة دمشق ٣٧ / ١٣ * ذخائر العقبى للطبري / ٢٩ * المنتقى من تحاف

تعالى خاصّة. وهذا مما يقتضي كون مقامها ذا شأن خطير، وأنّ لها نحواً من الولاية لبلوغها تلك الدرجة التي تضطلع بأهلية خاصّة، تتفقد قيمومته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما هو الرسول عليها. وهذا الإقتضاء مطرّد في باب الولاية وماهيتها، فإنّ انحصار ولاية الولي على المولّى عليه مع فرض واجدية الولي وأهليته للقيمومة لا يكون إلاّ ببلوغ المولّى عليه درجة من الكمال يضطلع بها بشؤون الولاية، كما في سائر موارد المولّى عليهم.

منها: ما ورد في نصوص الفريقين - التي مرّت في المقام الثاني - من أنه لم يكن لها كفو - لولا عليّ^(١) - من آدم فما دونه؛ إذ مقتضى عنوان الكفو المشاركة والمعادلة في الجملة، ونظير ما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾^(٢) من أنّ البحرين هما عليّ وفاطمة، والبرزخ هو النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه لا يطغي أحدهما على الآخر.

فقد روي في تفسير البرهان عن الكليني والصدوق وتفسير محمّد بن عباس وغيره من كتب الأصحاب المعروفة، إحدى عشر طريقاً لهذه الرواية وكذا من طرق أهل السنّة، ففي رواية يحيى بن سعيد العطار، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ،

السائل بها لفاطمة من المناقب والفضائل للشافعي القلقشندي / ٦٦ * المختار من مسند فاطمة الزهراء للسيوطي / ١٥٧ * وابن شاهين المروزي في كتاب فضائل فاطمة عليها السلام والبلاذري في تاريخه، عنها بحار الأنوار ٤٣ / ١٠٧.

وعن طرق الشيعة ما رواه في كشف الغمّة - كما في البحار ٤٣ / ١٢٤، ١٢٥ - قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر عندما خطب فاطمة عليها السلام: ﴿أمرها إلى ربّها﴾ وقال لعمر مقالته لأبي بكر كذلك. وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشرف قريش عندما خطبها فردهم: «إنّ أمرها إلى ربّها، إن شاء أن يزوّجها زوّجها».

١. لاحظ ما تقدّم، ولاحظ بحار الأنوار ٤٣ / ١٠ (أبواب تاريخ سيّدة النساء، الباب ٢: أسماؤها وبعض فضائلها) فقد أورد المجلسي - رحمه الله - عدّة روايات.

٢. الرحمن / ١٩ - ٢٠.

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١﴾ قال: علي وفاطمة عليهما السلام بحران من العلم عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين عليهما السلام، وفي رواية أخرى فُسِّرَ البرزخ الذي بينهما برسول الله صلى الله عليه وآله.^(١)

وهذه الروايات المتقدمة تدل على نحو مشاركة لها عليها السلام في الولاية لما هو مقرر من تلازمها مع المقام العلمي اللدني ونحوه من المقامات الغيبية، وبهذا التقريب يستشهد لولايتها العامة بروايات اشتقاق النور.

منها: ما رواه المجلسي في بحار الأنوار مسنداً إلى سلمان الفارسي، قال: «دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظر إليّ قال: يا سلمان، إن الله عزّوجلّ لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا جعل الله له اثني عشر نقيباً.

قال: قلت: يا رسول الله، قد عرفتُ هذا من الكتابين.

قال: يا سلمان، فهل علمتَ نقبائي الإثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟
فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: يا سلمان، خلقتني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته وخلق من نوري علياً فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي عليه السلام فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن عليّ ومن فاطمة، الحسن والحسين فدعاها فأطاعاه.

فسمانا الله عزّوجلّ بخمسة أسماء من أسمائه؛ فالله المحمود وأنا محمّد، والله العليّ وهذا

١. البرهان ٤/ ٢٦٥ - ٢٦٦ * و بحار الأنوار ٤٣/ ٣٢، الحديث ٣٩ (أبواب تاريخ سيّدة النساء، الباب ٣: باب مناقبها وبعض أحوالها) * وكذا ما رواه الثعلبي في تفسيره برويه برواية سفيان الثوري وسعيد بن جبير.

عليّ، والله فاطر وهذه فاطمة، والله الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين»^(١).
 إذ من الواضح أنّ مفاد اشتقاق النور هو بيان لمقاماتهم عليهم السلام بحسب التكوين المرتب
 عليها الولاية بحسب التكوين والتشريع.

ومنها الروايات المتقدمة في مصحف فاطمة عليها السلام.^(٢)

ومنها: ما رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا بإسناده عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في
 حديث تزويج الله تعالى لفاطمة من علي عليه السلام، إلى أن قال:

«فقال الله عزّ وجلّ: يا راحيل، إنّ من بركتي عليهما «عليّ وفاطمة» أنّي أجمعهما على محبتي
 وأجعلهما حجّتي على خلقي. وعزّتي وجلالي لأخلقنّ منها خلقاً ولأنشأنّ منها ذرية مباركة
 طاهرة، أجعلهم خزاني في أرضي ومعادن لحكمي، بهم أحتجّ على خلقي بعد النبيين
 والمرسلين...»

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ولقد أخبرني جبرئيل عليه السلام: إنّ الجنة وأهلها مشتاقون إليكما ولولا
 أنّ الله تبارك أراد أن يتخذ منكما ما يتخذ به على الخلق حجّة لأجاب فيكما الجنة
 وأهلها...»^(٣).

ومنها: الروايات المتقدمة في أنّ الله تعالى يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها، مما يدلّ

١. بحار الأنوار ٢٥/ ٦، الحديث ٩، ومنها ما رواه في الجزء ٣٠/ ٦٧، وج ٣٥/ ٢٧ و ٢٨، وج ٣٧/ ٨٣، وج ٤٠/ ٤٤، وج ٤٧/ ١٦٧، وج
 ٤٣/ ١٧، وج ٥٧/ ١٩٢- ٢٠٢.

٢. مرّ في المقام الثاني: حجّيتها على حجج الله المعصومين عليهم السلام.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق/ ١٧٦، ورواه الصدوق بإسناد آخر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ورواه بإسناد ثالث في الأمالي عن الصادق
عليه السلام * وفي بحار الأنوار ٤٣/ ١٠١- ١٠٣.

على حجيتها كما تقدّم من دون تقييد لذلك بالعلوم التي صدرت منها، أي ليست حجيتها بالوساطة العلمية فقط، بل يعمّ رضاها في الأمور العامّة وغضبها فيها.

كما تجلّى ذلك واضحاً في موقفها عليها السلام بعيد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في رسم الخلافة الإسلامية لكلّ الأجيال، ومن ثمّ دارت أربعين ليلة على المهاجرين والأنصار تحثّهم على مناصرة عليّ وتجديد البيعة له، مما يدلّ على إشرافها ومساهمتها في تدبير أسّ الأمور العامّة وهي الخلافة. ونظير ما ورد في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام عند احتضاره صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، أنفذ لما أمرتُك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل عليه السلام». ^(١) فإنّ مقتضى مادة الأمر ثبوت نحو ولاية للأمر، وإن كان عليّ عليه السلام إماماً لفاطمة عليها السلام.

وفي رواية العباس عن أبي جعفر الأحول، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: ما تقول قريش في

الخمس؟

قال: قلت: تزعم أنه لها.

قال: ما أنصفونا والله، لو كانت مباحلة لتباهلنّ بنا وإن كانت مبارزة لتبارزنّ بنا، ثم

يكون هم وعليّ سواء؟» ^(٢).

وتقريب دلالتها أنّه عليه السلام جعل الملازمة بين من يباهل بهم، ومن له الولاية على الخمس

الذي هو أهمّ الضرائب المالية الكبرى في الشريعة الإسلامية.

١. بحار الأنوار ٢٢ / ٤٨٤ و ٤٨٥، الحديث ٣١ (تاريخ نبيّنا، أبواب ما يتعلّق بارتحاله إلى عالم البقاء، الباب الأول: باب وصيّته عند قرب

وفاته).

٢. وسائل الشيعة ٩ / ٥١٧، الرقم المسلسل للحديث ١٢٦١٤ (كتاب الخمس، أبواب قسمة الخمس، الباب الأول: باب أنّه يقسم ستّة أقسام،

الحديث ١٥).

ومقام المباهلة كما تقدّم هو مقام الإحتجاج، أي من يكون حجّة على حقانية الدين وله هذا المقام هو الذي يكون صاحب ولاية في الخمس، وهذا الحال سيّان في الفيء والأنفال؛ لأنّ العنوان هو ذوي القربى، وأحد مصاديق من قامت به المباهلة، هي الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

ومنها: ما تقدّم تربيته في آية المودّة ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١) فإنّ مفاد هذه الآية ولاية ذوي القربى المعصومين منهم خاصّة على الأئمة، وإن كان مطلق ذوي القربى لهم مطلق المودّة.

وحيث تقرّر ذلك: فذوي القربى - كما عرفت فيما تقدّم - أول مصاديقه فاطمة (عليها السلام)، وقد فسّرت آية المودّة في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٢).

وكقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٥) أي عائد نفعه لكم، لأنّ مودّة ذوي القربى سبيل هداية إلى الله وذكرى للعالمين، فمودّة ذوي القربى نفعه عائد

١. الشورى / ٢٣.

٢. الفرقان / ٥٧.

٣. الأنعام / ٩٠.

٤. سبأ / ٤٧.

٥. يوسف / ١٠٤.

للعالمين أنفسهم.

وهذا مما يعضد أن مودتهم هي بدرجة الولاية لهم والإهداء بهم كسبيل إلى الله تعالى، وحبّيتهم على الخلائق، فيكون كلّ ذلك ثابتاً لها عليها السلام. وكيف لا تكون هي أبرز من يندرج في مودة ذوي القربى وقد قال فيها النبي صلى الله عليه وآله عن طرق الفريقين: «إن الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها».

الجهة الثامنة: روايات أهل السنة وعموم مطالبتها بالخمس والضيء وفدك

روى البخاري بسنده عن عائشة: أن فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إننا لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال وإني والله لا أغير من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كانت عليه في عهد رسول الله ولأعملنّ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً فوجدت فاطمة فهجرتة فلم تكلمه حتى توفيت. وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها.^(١)

وهذه الرواية صريحة في كون فاطمة عليها السلام طالبة بورايتها لمقام النبي صلى الله عليه وآله في الفيء، ومن البين الواضح أن مقام النبي في الفيء ليس هو مجرد الملكية المالية والتصرّفات بل هو الولاية

١. صحيح البخاري، كتاب الخمس، الباب الأول، الحديث ٢٨٦٢ وكتاب الخمس، باب فرض الخمس، الحديث ٣٠٩٣ وكتاب المغازي، باب

غزوة خيبر، الحديث ٤٢٤٠.

على كلّ الفيء والتي قد تقدّم أنها أشدّ سلطنة من الملكية العادية في الأعيان. كما أنّ صراحة هذه الرواية يدلّ على أنّ أحد وجوه مخاصمتها في فدك هو كونها في الفيء المسندة ولايته وملكية التصريف فيه لذوي القربى، وأنها ﷺ أول من يصدق عليه ذلك العنوان كما أنّ صريحة هذه الرواية مطالبتها بالخمسة والفيء وفدك.

وفي صحيح مسلم بنفس اللفظ^(١)، وكذلك في مسند أحمد^(٢).

وإلى ذلك أشار ابن أبي الحديد: <واعلم أنّ الناس يظنون أنّ نزاع فاطمة ﷺ أبا بكر كان في أمرين: في الميراث والنحلة، وقد وجدت في الحديث أنها نازعت في أمر ثالث ومنعها أبو بكر إياه أيضاً وهو سهم ذوي القربى.

قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري: أخبرني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدّثني هارون بن عمير، قال: حدّثني الوليد بن مسلم، قال: حدّثني صدقة أبو معاوية عن محمّد بن عبدالله عن محمّد بن عبدالرحمن بن أبي بكر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك: بأنّ فاطمة ﷺ أتت أبا بكر فقالت: لقد علمت الذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى، ثم قرأت عليه قوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى﴾ الآية.

فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأمي ووالدٍ ولدك، السمع والطاعة لكتاب الله ولحقّ رسول الله ﷺ وحقّ قرابته وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرأين منه، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا

١. صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب قول النبي <لا نورث>، الحديث ٤٤٧١ و ٣٣٠٤.

٢. مسند أحمد ٢ / ٢٤٢ و ٣٧٦ و ٤٦٣ و ٤٦٤.

السهم من الخمس يسلم إليكم كاملاً.

قالت: أفلك هو ولأقرباءك؟

قال: لا، بل أنفق منه عليكم وأصرفُ الباقي في مصالح المسلمين.

قالت: ليس هذا حكم الله تعالى.

قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري: وأخبرنا أبو زيد قال: حدّثنا هارون بن عمير

قال: حدّثنا الوليد بن أبي الهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال: أرادتُ فاطمةُ أبا بكر على

فدك وسهم ذوي القربى فأبى عليها).^(١)

واستعرض جملة من ذلك ابن قدامة في المغني قال:

روي عن الحسن وقتادة في سهم ذي القربى: كانت طعمة لرسول الله صلّى الله عليه وآله في حياته فلما

توفي حمل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله.

وروى ابن عباس: أن أبا بكر وعمر قسّما الخمس على ثلاثة أسهم.

ونحوه حكى عن الحسن بن محمد بن الحنفية وهو قول أصحاب الرأي قالوا: يقسّم

الخمس على ثلاثة: اليتامى والمساكين وابن السبيل وأسقطوا سهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بموته

وسهم قرابته أيضاً.

وقال مالك: الفيء والخمس واحد يجعلان في بيت المال.

قال ابن القاسم وبلغني عن من أثق به أن مالكا قال: يعطي الإمام أقرباء رسول الله صلّى الله عليه وآله

على ما يرى.

وقال الثوري والحسن: يضعه الإمام حيث أراه الله عزَّ وجلَّ.
ولنا قول الله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾.

إلى أن قال: فلا يُترك ظاهر النص وقول رسول الله ﷺ وفعله من أجل قول أبي العالفة.
وما قاله أبو حنيفة فمخالف لظاهر الآية، فإنَّ الله تعالى سمَّى لرسوله ولقرابته شيئاً
وجعل لهما في الخمس حقاً كما سمَّى للثلاثة أصناف الباقية، فمنَّ خالف ذلك فقد خالف
نصَّ الكتاب.

وأما حمل أبي بكر وعمر على سهم ذي القربى في سبيل الله فقد ذكر لأحمد فسكتَ
وحرَّكَ رأسه ولن يذهب إليه.

ورأى أن قول ابن عباس ومن وافقه أولى لموافقته كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فإنَّ
ابن عباس لما سئل عن سهم ذوي القربى فقال: إنَّا كنا نزعم أنه لنا فأبى ذلك عليه قومنا
ولعل أراد بقوله: أبى علينا قومنا، فعَلَّ أبي بكر وعمر في حملها عليه في سبيل الله ومن
تبعها على ذلك.

ومتى اختلف الصحابة وكان قول بعضهم يوافق الكتاب والسنة كان أولى، وقول ابن
عباس وافق الكتاب والسنة.^(١)

وما رواه المتقي الهندي في كنز العمال عن أحمد وابن جرير والبيهقي وغيرهم عن أبي

الطفيل قال: «جاءت فاطمة ألى أبي بكر فقالت: فأنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله؟ قال: بل أهله.

قالت: فما بال الخمس؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا أطعم الله نبياً طعمة ثم قبضه كانت للذي بعده فلما وليت رأيت أن أردّه على المسلمين»^(١).
 وغيرها من روايات أهل السنة الدالة على أنها عليها السلام لم تقتصر - مطالبتها في حقها على عين خاصة ونحو ذلك، بل في عموم الفيء والخمس وميراثها لمقام رسول الله صلى الله عليه وآله فيهما، وهو ملكية تصرّفه وولايته.

والحمد لله ربّ العالمين
 وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين
 واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين

الفارس

فهرست الآيات



- إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ٧٠، ٧٢
- إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ..... ٥٢
- اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ..... ٥٠
- أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ..... ٤٢
- أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ..... ٨٠، ٨١
- النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ..... ١٩٤
- النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ..... ١٠٩
- الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ١٥١
- الْيَوْمَ يَبْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا حُشُوهُمْ وَلَا حُشُونِ الْيَوْمِ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..... ١٠١
- أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ..... ٦١

- إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٩
- إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٦٩
- أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ٥٧، ٥٩
- إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧٨، ١٥٩
- إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٧٨، ١٦٢
- إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثُرَ ١٢١
- إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ٢٣
- إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ١١٦
- إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ٨٣، ٩١، ٩٢
- إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٩١

(ب)

- بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ٢٣
- بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ١٥٣

(ت)

تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ٩٥

تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ٢٤، ٢٣

(ث)

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

بِالْخَيْرَاتِ ١٥٢

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ١٥٣

(ح)

حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرِ ٢٤

(ذ)

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ٧٠

(ر)

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ٧٠

(ع)

عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا

أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ..... ٨٥

(ف)

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . ١٧٨

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا..... ٦٣

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ..... ١٥٣

فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى..... ١٦١

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ... ٩٥

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ..... ٥٧

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ..... ٢٤

(ق)

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ... ٩٣

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

..... ٥٨، ٥٧

قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ..... ٥٨

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ٤١

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيَّ هِينٌ

- وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا..... ٥٥، ٥٣
- قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ٥٢، ٥٦، ٥٨
- قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا..... ٦٤
- قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ١٤٧
- قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ٢٠٠
- قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٠١
- قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ١٥٢، ٢٠٠
- قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ..... ١٤٧، ١٥٠، ٢٠١
- قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ..... ١٤٧، ١٥٠

ك

- كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ١١٦
- كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا..... ٩٨
- كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ..... ٩٨
- كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ
- ٨٨
- كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..... ٥٠
- كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ..... ١٦٢



لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ..... ٩٢

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ..... ٧٥

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ..... ٧٥

لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ..... ١٠٤

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ..... ٢٤



مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١٧٨

مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا..... ١٠٢، ١٤٧

مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ..... ١٥٩، ١٨٥

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ

..... ٦٧

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ

انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنَاهُمْ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ..... ٧٤

مَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ..... ١٠٢

مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ- اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ

- يَعَصِ اللهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ١٩٤
 مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ١٩٦
 مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَامٌ ٢٤



- وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ١٥٧، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٤
 وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ١٦٥، ١٦٩
 وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ١٦٥
 وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ١٥٣
 وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ
 ٦٧
 وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ٤١
 وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهُ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
 ٨٣، ٦٩
 وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٧١
 وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٧١
 وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ٥٥، ٥٨، ٧١
 وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
 فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ٥٥، ٥٨

- وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٧١
- وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١١٦، ٨٨
- وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ١٨٥
- وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ١٨٥، ١٦٢
- وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ٦٨، ٦١
- وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ٩٥
- وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ٩٢
- وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ١١٦
- وَمَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ... ١٥٣
- وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ٧٧، ٦٦، ٦٢، ٦٠
- وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ١٠٤
- وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٥٣
- وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ٥٠
- وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ١٨٨
- وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٨٤
- وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ

- الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ..... ٧٤
- وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ١٥٢
- وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
..... ٥٠
- وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ٦٩
- وَلَا غُوبِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ..... ١١٦
- وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ٥٠
- وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى..... ٥٥
- وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ٩٣
- وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٢٣
- وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي
كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ..... ٨٥
- وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ..... ٢٠١
- وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ..... ٢١
- وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ٥١
- وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ..... ٦١
- وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ..... ٨٥
- وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..... ٩٢

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ٨٥

(ي)

يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ... ٧٦

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ١٠١، ١٥١، ١٧٧

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ١٠١

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ١٧٧

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٥٩

يَمَحُّوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٨٥

!

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ٦٦، ٦٨
إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...
٥١

ا

ادْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ٤٨

أ

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ٤٠
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ٧٥

ا

النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ١٨٠
النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ٩٩
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ١٤٠
الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ٩٣

آ

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
..... ٥٨

!

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٨
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٦٦

أ

أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُكَ بِحَيْبِي مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ٥٦ ، ٥٥

إ

إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانَ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ١٦٦ ، ١٤٩

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٦٥ ، ١٥١

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ١١١

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ٢٤

إِنَّهُ كَانَ مُحَلِّصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ١٠٥

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ٨٥ ، ٨٤ ، ٧٨

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٨٤

ب

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ٢٤

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ١٤٢

ت

تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ٨٨

تَنْزِيلَ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا ٢٥ ، ٢٤

ث

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ... ١٤٢

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ١٤٣

ح

حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ٢٥

ذ

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ٦٧

ر

رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ٦٧

ع

عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

..... ٧٩

ف

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٦٥

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهَدِ صَبِيًّا ٦٠

فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ١٤٣

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ

ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ٨٧

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ٥٥

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٢٤

ق

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ٨٦

قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ٥٦

قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ٥٦

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ٤٠

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ

وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ٥١ ، ٥٣

- قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ٥٠، ٥٤، ٥٦
- قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ٦١
- قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ١٣٥
- قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ١٨٦
- قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ١٨٦
- قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ١٤٢، ١٨٦
- قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ١٣٦، ١٣٩، ١٨٦
- قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ١٣٦، ١٣٩

ك

- كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ١٠٥
- كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ٩٠
- كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ٩٠
- كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ . ٨١
- كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ٤٩
- كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ١٥١

ل

- لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٨٥
- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ٧١
- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ٧٠
- لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ٩٥
- لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٢٥

- ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ١٦٥
- ما أسئلكم عليه من أجرٍ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ٩٣، ١٣٦
- ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ١٤٩، ١٧٢
- ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كنا يأكلان الطعام ٦٤
- ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كنا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ٧٠
- ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم ٩٣
- ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد صلل صلاً ملاً مبيناً ١٨٠
- مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ١٨٢
- من كل أمرٍ ، سلامٌ ٢٥

و

- وآت ذا القربى حقه ١٤٧، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧١
- وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ١٥٨، ١٥٤
- وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ١٥٤
- وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ١٤٣
- وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ٦٣
- وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ٤٠
- وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ٦٥، ٧٧
- وإذك في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ٦٧
- وإذك في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ٦٧

- وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ٥٣، ٥٦، ٦٧
- وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا..... ٥٦، ٥٣
- وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا..... ٦٧
- وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١٠٦، ٨٢
- وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ١٧٢
- وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ١٧٢، ١٥١
- وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا..... ٦٥، ٥٩
- وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ٨٨
- وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ..... ٨٥
- وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ١٠٦
- وَمَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ..... ١٤٣
- وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً..... ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٧٢
- وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ٩٥
- وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ..... ١٤٣
- وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ..... ٤٩
- وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ..... ١٧٥
- وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ..... ٧٩
- وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ..... ٧٠
- وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ..... ١٤١

- وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا..... ٤٩
- وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ٦٥
- وَلَا غُوبِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ١٠٥
- وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ٤٩
- وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ٥٤
- وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ٨٦
- وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٢٤
- وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧٩
- وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ١٨٦
- وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٢٢
- وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ٥٠
- وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ٥٩
- وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٧٩
- وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ٨٥
- وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ٧٩

ي

- يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٧٢
- يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ١٦٥ ، ١٤٠ ، ٩٢
- يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٩٣
- يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ١٦٥

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ١٤٩

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٧٩

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١ - الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي

انتشارات بعثت؛ ١٤١٤ هـ.

٢ - إحقاق الحق وإزهاق الباطل، السيّد الشهيد نور الله الحسيني التستري

مع تعليقات السيد شهاب الدين المرعشي؛ في (٣٦) أجزاء؛ مكتبة المرعشي؛ قم

المقدسة.

٣ - إحياء الميت بفضائل أهل البيت عليهم السلام، جلال الدين السيوطي

مؤسسة الوفاء؛ الطبعة الثانية؛ بيروت، ١٤٠٤ هـ.

٤ - أسد الغابة، ابن كثير الجزري

دار الشعب؛ بيروت، ١٣٩٠ هـ.

٥ - الإقبال، السيد بن طاووس

- انتشارات دفتر تبليغات إسلامي؛ قم؛ ١٤١٦ هـ.
- ٦ - الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
الطبعة الثالثة؛ مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٨٢ هـ.
- ٧ - بحار الأنوار، المولى محمد باقر المجلسي
بتصحيح: محمد باقر البهبودي؛ في (١١٠) أجزاء؛ المكتبة الإسلامية؛ الطبعة الثانية؛
تهران، ١٣٩٨ هـ.
- ٨ - البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني
مؤسسة البعثة؛ قم المقدسة، ١٤١٥ هـ.
- ٩ - بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي
الطبعة القديمة الثانية: بتصحيح الميرزا محسن التبريزي؛ منشورات مكتبة المرعشي-
النجفي؛ قم المقدسة، ١٤٠٤ هـ.
- الطبعة الحديثة الأولى: من منشورات طليعة النور؛ قم المقدسة، ١٣٨٤.
- ١٠ - تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر
دار الفكر؛ بيروت؛ ١٤١٥ هـ.
- ١١ - تأويل الآيات الطاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي
الإسترآبادي الغروي
تحقيق: حسين استاد ولي؛ مؤسسة النشر الإسلامي؛ الطبعة الأولى؛ قم، ١٤٠٩ هـ.

- ١٢ - تفسير ابن كثير الدمشقي
دار احياء التراث العربي؛ بيروت، ١٤١٥ هـ.
- ١٣ - تفسير أطيب البيان، السيد عبد الحسين الطيّب
انتشارات بنياد فرهنگ اسلامي؛ تهران [بي تا]
- ١٤ - تفسير جوامع الجامع، أمين الإسلام الطبرسي
انتشارات دانشگاه تهران؛ الطبعة الثانية؛ تهران، [بي تا]
- ١٥ - تفسير روح المعاني، الآلوسي
دار إحياء التراث العربي؛ بيروت؛ ١٤٢٠ هـ.
- ١٦ - تفسير فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي
تحقيق: محمد الكاظم؛ مؤسسة الطبع والنشر- التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد
الإسلامي؛ الطبعة الأولى؛ تهران ١٤١٠ هـ.
- ١٧ - التفسير الكبير، الفخر الرازي
دار الفكر؛ بيروت؛ الطبعة الثالثة، ١٤٢١ هـ.
- ١٨ - تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب؛ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي
بتحقيق: حسين درگاهي، في ١٤ جزءاً؛ دار الغدير، قم المقدّسة؛ الطبعة الأولى،
١٤٢٤ هـ.
- ١٩ - تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي

تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، في ثلاثين مجلداً؛ الطبعة الأولى؛ قم المقدسة، ١٤١١ هـ.

٢٠ - تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي
تحقيق: السيّد حسن الموسوي الخرساني، في عشرة أجزاء؛ الطبعة الرابعة؛ دار الكتب الإسلامية، تهران، ١٣٦٥ ش.

٢١ - جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير الجزري
تحقيق: محمد حامد الفقي؛ في دار إحياء التراث العربي؛ الطبعة الثالثة؛ بيروت، ١٤٠٢ هـ.

٢٢ - الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي
دار الفكر؛ بيروت؛ ١٤٠١ هـ.

٢٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ جلال الدين السيوطي
بتصحيح: نجدت نجيب، في ٨ أجزاء؛ دار إحياء التراث العربي؛ بيروت؛ الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢٤ - دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (الطبري الإمامي)

تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية؛ مؤسسة البعثة؛ قم المقدسة، ١٤١٣ هـ.

٢٥ - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري

تحقيق: سامي العزيزي؛ في مجلدين؛ مؤسسة دار الكتاب الإسلامي؛ الطبعة الأولى؛
قم، ١٤٢٨هـ.

٢٦ - سنن النسائي؛ الإمام النسائي

دار الفكر؛ بيروت؛ ١٤١٥هـ.

٢٧ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد

بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ في ٢٠ أجزاء؛ دار إحياء الكتب العربية عيسى
البابي الحلبي وشركاؤه؛ مصر؛ الطبعة الثانية، ١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ.

٢٨ - شواهد التنزيل لقواعد التفضيل؛ الحاكم الحسكاني النيسابوري

تحقيق: محمد باقر المحمودي، في ثلاثة أجزاء؛ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية؛ قم؛
الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ هـ.

٢٩ - صحيح البخاري

٣٠ - صحيح المسلم

٣١ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم؛ السيد جعفر مرتضى العاملي

دار السيرة؛ بيروت [بي تا]

٣٢ - علل الشرائع، الشيخ الصدوق

نشر داوري؛ قم المقدسة، ١٣٨٥ هـ.

٣٣ - عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الشيخ عبد الله

البحراني الإصفهاني

تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي؛ طبع القسم المختص بأحوال سيدة النساء مع مستدركاتهما في مجلدين؛ الطبعة الثالثة؛ قم المقدسة، ١٤١٥ هـ.

٣٤- عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ الشيخ الصدوق

انتشارات علمي؛ تهران؛ ١٣٩٠ هـ.

٣٥- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني

دار الفكر؛ بيروت [بي تا]

٣٦- الفهرست، محمد بن اسحاق ابن النديم

انتشارات مروزي؛ تهران، ١٣٩٣ هـ.

٣٧- الكافي، ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني

بتحقيق: علي أكبر الغفاري؛ في ثمانية أجزاء؛ دار الكتب الإسلامية؛ الطبعة الثالثة؛

تهران، ١٣٨٨ هـ.

٣٨- كتاب تاريخ اصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني

تحقيق: سيد كسروي؛ في جزئين؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

هـ.

٣٩- الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي، أبو اسحاق الثعلبي

بتحقيق: الشيخ سيد كسروي حسن؛ في ٦ أجزاء؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ الطبعة

الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٤٠ - مجمع الزوائد، الهيثمي

دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ ١٤٠٨ هـ.

٤١ - المزار، محمد بن مشهدي

نشر قيوم؛ قم؛ ١٤١٩ هـ.

٤٢ - المزار، محمد بن نعمان المفيد

مدرسة الإمام المهدي؛ قم؛ ١٤٠٩ هـ.

٤٣ - مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي

تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث؛ في (١٨) جزءاً؛ الطبعة الثانية؛ بيروت،

١٤٠٨ هـ.

٤٤ - مصباح الزائر، السيد بن طاووس

آل البيت؛ قم؛ ١٤١٧ هـ.

٤٥ - معاني الأخبار، الشيخ الصدوق

مؤسسة النشر الإسلامي؛ قم؛ ١٣٦١ هـ.

٤٦ - المعجم الكبير، أبو القاسم بن أحمد الطبراني

تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي؛ في ٢٣ أجزاء؛ دار إحياء التراث العربي؛ بيروت.

٤٧ - المغني، ابن قدامة الحنبلي

دار الكتاب العربي، بيروت؛ ١٤٠٧ هـ.

٤٨ - مقاتل الطالبين، أبو الفرج الإصبهاني

منشورات الرضي؛ قم، ١٣٦٦ ش.

٤٩ - ميزان الاعتدال، أبو عبد الله الذهبي

دار الفكر؛ بيروت [بي تا]

٥٠ - ينابيع المودة، الشيخ سليمان القندوزي الحنفي

منشورات: مؤسسة الأعلمي، بيروت؛ الطبعة الأولى، في ثلاثة أجزاء.

فهرست المطالب

- كلمة الأستاذ ٩
- المقدمة ١١
- المقام الأول القرآن ومقامات فاطمة عليها السلام ١٥
- المقام الثاني فاطمة وحجيتها على الأئمة والأنبياء عليهم السلام ١٩
- الجهة الأولى: حجيتها على الأئمة عليهم السلام ٢١
- الجهة الثانية: حجيتها على الأنبياء المرسلين ٣٥
- ويدل عليه من الكتاب وجهان: ٣٥
- أما من السنة: ٣٧
- المقام الثالث مريم بنت عمران مَثَلٌ ضربه الله لفاطمة عليها السلام ٣٩
- مقامات السيدة مريم عليها السلام ٤٣
- مريم وتحديث الملائكة لها ٤٤
- حجية مريم بنت عمران عليها السلام ٥١
- مراحل الإعداد والإصطفاء ٥٦
- التشريك في النعمة... تشريك في الحجية ٥٨
- الإعتقاد بحجية مريم ومقامها من خصوصيات الدين الإسلامي ٦٠
- الوسط الاسلامي... والتطرف المسيحي ٦١
- التشابه بين مقامي مريم وفاطمة عليها السلام ٦٥
- فاطمة عليها السلام فوق مقام الأبرار ٧١
- فاطمة عليها السلام من المطهرين الذين يمسون الكتاب ٧٥
- فاطمة عليها السلام وحجيتها لدين الإسلام ٧٧

- الجهة الأولى: ٧٧
- الجهة الثانية: ٨٢
- الأول: الوجه الكلامي: ٨٢
- الثاني: الوجه الفلسفي ٨٤
- الثالث: الوجه العرفاني ٨٥
- المقام الرابع أمومتها للنبي صلى الله عليه وآله في مقابل أمومة زوجات النبي للمؤمنين ٨٧
- المقام الخامس رضی فاطمة عليها السلام رضی الله و غضبها غضبه ٩١
- المقام السادس مباهاة الله عز وجل بفاطمة سلام الله عليها لرسوله الأمين صلى الله عليه وآله ٩٧
- المقام السابع خطبتها وعظيم حجيتها سلام الله عليها ١٠١
- المقام الثامن حججة الصديقة سلام الله عليها في مقام الدفاع عن صديق الأمة، أمير المؤمنين عليه السلام ١٠٩
- المقام التاسع إشتراكها مع أهل البيت عليهم السلام في الآيات النازلة فيهم ١١٨
- المقام العاشر ولايتها سلام الله عليها في الأمور العامة ١٢٦
- ففي المقام جهات: ١٢٩
- الجهة الأولى: ولايتها في الأموال العامة ١٢٩
- الجهة الثانية: المراد من ذوي القربى ١٣٢
- الجهة الثالثة: الزهراء عليها السلام أول من ينطبق عليها عنوان (ذوي القربى) ١٣٤
- الجهة الرابعة: إذنها في الخمس والأنفال بمقتضى ولايتها عليها السلام . ١٣٤
- الجهة الخامسة: الآية تثبت كونها عليها السلام أبرز أفراد ذوي القربى ... ١٣٧
- الجهة السادسة: ثبوت الخمس لها ومطالبتها به يقتضي ولايتها العامة ١٣٨
- تأملات جديدة في محاججات فدك ١٤٢
- رؤية جديدة في فدك ١٤٦
- الجهة السابعة: ولايتها ومؤيدات أخرى ١٥٩
- الجهة الثامنة: روايات أهل السنة وعموم مطالبتها بالخمس والفيء وفدك ١٦٥
- الفهارس ١٧٠

١٧٢ فهرست الآيات
١٩٠ المصادر
١٩٨ فهرست المطالب